كتاب الاربعين للغزالي عدد ١٧

I

آياصوفيه

٢١٧٥

آياصوفيه

٢١٧٥

كتاب الاربعين
للامام محمد الاسلام
الغزالي قدس الله
روحه المعزز
ونور مرقده
الشريف
بكرمه
اللطيف

٢١٧٥

كتاب
الاربعين
للامام محمد الاسلام الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه
رزقني الله تحقيق حبه لنبيه
محمد سيد الانبيا صلوات الله تعالى
وسلامه عليه
امين امين

وقوف مدة الجليلة سلطانها الاعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحرين خادم الحرمين السلطان
السلطان السلطان الغازي محمود خان وقاني صحها
سرعسا لمن طالع واسعد وامات واسعد
خلد الله ملكه المجد عزه العصر احمد
سيح راه المصلي وقاه
الحرمين الشريفين
عمرلها

Mikrofilm Arşiv
1651

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله اجمعين اما بعد

فلعلك تقول هذه الايات التي اوردتها في القسم الثاني تشتمل على اصناف من العلوم والاعمال مختلطة فهل يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملتها على وجه من التفصيل والتحصيل يمكن التفكر في كل واحدة منها على حيالها ليعلم الانسان تفصيل ابواب السعادة في العلم والعمل ويتيسر عليه تحصيل مفاتيحها بالمجاهدة والتفكر

فاقول نعم ذلك يمكن فانه ينقسم جميل مقاصدها الى علوم واعمال والاعمال تنقسم الى ظاهرة وباطنة والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهي اربعة اقسام علوم واعمال ظاهرة واخلاق مذمومة تجب التزكية عنها واخلاق محمودة تجب التحلية بها وكل قسم يرجع الى عشرة اصول واسم هذا القسم كتاب الاربعين في اصول الدين فمن شاء ان يكتبه مفردا فليكتبه فانه تشتمل عليه زبدة علوم القرآن

القسم الاول في جمل العلوم واصولها وهي عشرة

الاصل الاول في الذات

فنقول الحمد لله الذي تعرف الى عباده بكتابه المنزل على لسان نبيه المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له لا ضد له موجود لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء تصرم الآباد وانقراض الاجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن

الاصل الثاني في التقديس

وانه ليس بجسم

ولا جوهر محدود ومقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا تحده المقادير ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تتمكن في السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا تحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان تحويه مكان كما تقدس عن ان تحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول وفي ذاته الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار وتماما للتنعيم بالنظر الى وجهه الكريم

الاصل الثالث في القدرة

وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له

له القدرة والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلايق مقهورون في قبضته

وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم

واجالهم لا يشذ عن قضيته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته

ولا تتناهى معلوماته **الاصل الرابع في العلم** وانه عالم بجميع المعلومات

محيط بما تجري في تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض

ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك

حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر

وخفيات السرائر يعلم قديم انيته ازليته موصوفا بها في ازل الازال لا يعلم متجدد حاصل

في ذاته بالتحول والانتقال **الاصل الخامس في الارادة** وانه مريد للكائنات

للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير

خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة

او عصيان الا بقضائه وقدره ومشيته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مخرج عن مشيته

لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد ارادته لحكمة ولاءته حقيقة

لقضائه ولا معقب لحكمه ولا مرد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا

بعونته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم

ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عن ذلك وان ارادته قايم بذاته في جملة

صفاته ازل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت

في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من

من غير تبدل ولا تغيير دبر الامور بلا ترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لا يشغله شان عن شان

اعلم ان هذا المقام مزلة الاقدام ولقد زلت فيه اقدام الاكثرين لان عام تحقيقه مستمد

من تيار بحر عظيم وراء بحر التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدل ولقد قال صلى الله عليه وسلم

ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل وتلوا بايات القرآن ما وتين وليس من

اهل التاويل وذوق ان كل احد مقام التاويل لما قال صلى الله عليه وسلم داعيا لابن عباس

اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ولما قال يعقوب ليوسف وكذلك يجتبيك

ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث قال صاحب الكشاف يجتبيك لما رأى من معالي

الانبياء وما لخصه واشبهه على الناس من اغراضهم تقرهم وتشرحها

وتدلهم على امور قد علت حكمها وانما زلت قدم الاكثرين في هذا المقام لانهم يتبعون الذين

يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله

والراسخون في العلم وهو ان ليس في ابن آدم بل قاصرون عاجزون فلقصورهم

لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا الامر فالجؤا عن اقدامهم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع

مع سائر القاصرين قيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم

يسألون عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر

فغضب حتى احمر وجهه فقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان

قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم ان في هذا الامر لا تنازعوا فيه

وعن ابي حنيفة قال قلت ليونس بن عبيد مررت بقوم يختصمون في القدر فقال لو همّ
ذنوبهم ما اختصموا في القدر وامتلاء مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله وكان زيتهم
صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار نور فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار
الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بادب الله
واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فلذلك امسك عما سئل عن القدر فقال للسائل
بحر عميق لا تلجه ولما كرر فقال طريق مظلم لا تسلكه ولما كرر الثالثة قال سر الله
قد خفي عليك فلا تفتشه ومن اراد معرفة اسرار الملكوت فليلازم باب همّ بابهم
بالمحبة والاخلاص والصدق والاعراض عن اعدائهم والامتثال باوامرهم والسعي فيما
يرضيهم وكذلك من احب معرفة اسرار الربوبية فليلازم باب الله بالمحبة والصدق
والاخلاص والتعظيم والحياء والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المعاصي والمجاهدة والاقبال
بكنه الهمة والتعرض لنفحاته والسعي فيما يرضي وان لم يطق ذلك فعليه ان يعتقد في هذا
البحث ما عليه ابو حنيفة واصحابه حيث قالوا احداث الاستطاعة في العبد فعل الله
واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازا **والقدرية**
انكروا قضاء الله تعالى وارادته والخير والشر من انفسهم اراد وا بذلك تنزيه الله عن الظلم
وفعل القبيح ولكن بئسما اذ نسبوا العجز الى الله في ضمن ذلك ولم يدروا **والجبرية**
اعتمدوا على القضاء وارادة الخير والشر من الله ولم يروا من انفسهم فعلا اراد وا بذلك
تنزيه الله عن العجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه في ضمن ذلك واضلوا اسفهاءهم فكانوا

يعصون الله وينسبون الى الله كالشيطان حيث قال بما اغويتني **فالحاصل**
ان القدرية اثبتوا الاختيار الكلي للعبد في جميع افعال العباد وانكروا قضاء الله
وقدره بالكلية في افعال العباد **والجبرية** نفوا الاختيار بالكلية في افعال
العباد واعتمدوا على القضاء فينبغي للباحث منهم ان يضربهم ويمزق ثيابهم
وعمائمهم ويخدش وجوههم وينتف اشعارهم وشواربهم ولحاهم ويعتذر بما
اعتذر هؤلاء في سائر افعالهم القبيحة الصادرة منهم والمحترزة اضاف الشر كله
الى انفسهم واثبتوا لانفسهم الاختيار الكلي تحرزا عن نسبة القبيح الى الله والظلم
ولكن نسبوا الى الله العجز في ضمن ذلك ولم يدروا تعالى عن ذلك علوا كبيرا
واهل السنة والجماعة توسطوا فلم ينفوا الاختيار عن انفسهم
بالكلية ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية بل قالوا افعال العباد من الله
من وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في ايجاد فعله **واعلم** ان قضاء
الله على اربعة اوجه قضاء الطاعة والمعصية والنعمة والشدة والمذهب المستقيم
في ذلك **اذا قضى لعبد** الطاعة فعليه ان يستقبله بالجهد والاخلاص
حتى يكرمه الله بالتوفيق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك **واذا قضى**
المعصية فعليه ان يستقبله بالاستغفار والتوبة لقوله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين **واذا قضى** النعمة فعليه ان يستقبله بالشكر والسخاء

فالحاصل

عن تكرمه بالزيادة لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم الاية واذا قضى الشدة فعليه ان يستقبلها
بالصبر والرضاء حتى يعطيه الكرامة في الاخرة لقوله تعالى ان الله يحب الصابرين وقال اتما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب الاية ذكر الامام مولانا علاء الدين في شرح المصابيح
الفرق بين القضاء والقدر هو ان القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ
اجمالا والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجاد كل في الوقت الخارجي واحدا بعد
واحد وقيل القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات
على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بكل شيء في وقته الخاص
ثم ان المسلمين في القدر على اختلاف منهم من ذهب الى ان كل ما يجري في العالم من الخير والشر
والافعال والاقوال بقضاء الله وقدره ولا اختيار للعباد فيه ويسمى هذا القوم جبرية
والجبر هو القهر والاكراه فيقولون اجبر الله عباده على اقوالهم وافعالهم من غير اختيار
منهم فيها ويزعمون ان اضافتها الى الجمادات في مثل قولنا دارت الرحا وجرى الميزاب
وهذا المذهب باطل لانهم ان قالوا هذا القول ليسقطوا من انفسهم التكاليف وشبهوا
انفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان الخطاب بهم فقد كفروا لان مذهبهم
يفضي الى ابطال الكتب والرسل وان قالوا ذلك لتعظيم الله وتحقير انفسهم وعجزهم عن
دفع قضاء الله فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ومنهم من ذهب الى ان كل ما يصدر
عن العباد عقيب قصدهم وارادتهم يكون واقعا بقدرتهم واختيارهم ولا يتعلق بها
بخصوصها قدرة الله وارادته ويسمى هؤلاء قدرية لنفيهم القدر لاثباتهم وهذا

المذهب ايضا باطل لانهم ان قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز العجز عن التقدير لله تعالى
فهم كافرون تعالى عن ذلك علوا كبيرا وان قالوا عن خطاء اجتهاداتهم وتنزيه الحق عن
تقدير افعالهم القبيحة وظلمها فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ومن هذه الطائفة من يقول
الخير بتقدير الله والشر ليس بتقديره والمذهب الحق هو ان المؤثر مجموع القدرتين
قدرة الله وقدرة العباد فالله فعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره ولكن
للعباد اختيار فالتقدير من الله والكسب من العباد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر
وعليه اهل السنة والجماعة انتهى كلامه قال الامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله في كتاب
المقصد الاسنى في تدبير رب الارباب ومسبب الاسباب اصل وضع الاسباب ليتوصل
الى المسببات حكمة ونصبة الاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي لا يزول ولا يتحول
كالارض والسموات السبع والكواكب والافلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا يتغير
لا يتغير ولا يتبدل الى ان يبلغ الكتاب اجله قضاؤه كما قال فقضيهن سبع سموات
في يومين واوحى في كل سماء امرها وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المناسبة المحدودة
المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة قدره فالحكم
هو التدبير الاول الكلي والامر الازلي الذي هو كلمح البصر والقضاء هو الوضع الكلي
للأسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة
المحسوبة الى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وانك
لا تخرج شيئا عن قضائه وقدره ولا تفهم خلل الاعمال ولعلك شاهدت صندوق

قال قتادة والسدي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار والجبال البرودة وما لا يعلم وقيل معناها اوحى الى اهل السماء من الامر والنهي ما اراد تقديره

الساعات التي بها تعرف اوقات الصلوات وان لم تشاهده فجملة ذلك انه لابد فيه من آلة
على شكل اسطوانة تحوي مقداراً من الماء معلوماً وآلة اخرى مجوفة موضوعة فيها
فوق وخيط مشدود احد طرفيه في هذه الآلة المجوفة وطرفه الآخر في اسفل ظرف
صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة
وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم يثقب اسفل الآلة الاسطوانية ثقباً بقدر معلوم
ينزل الماء منه قليلاً قليلاً فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على
وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الظرف الذي فيه الكرة تحريكاً يقرب به
من الانتكاس الى ان يتسلس فيتدحرج منه الكرة ويقع في الطاس وتطن وعند انقضاء
كل ساعة انقضاء كل ساعة تقع واحدة وانما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج
الماء وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق
الحساب فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر
معلوم ويكون انخفاض اعلى الماء بذلك المقدار به يتقدر انخفاض الآلة المجوفة
وانجذاب الخيط بها المشدود وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة وكل ذلك يتقدر
بتقدير سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن ان يحصل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة اخرى
ويكون الحركة الاخرى سبباً لحركة ثالثة وهلم الى درجات كثيرة حتى يتولد منها يتولد
منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الاول نزول الماء بقدر معلوم
فاذا تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلثة امور

الماء

اولها التدبير وهو الحكم بانه ما الذي ينبغي ان يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى
يؤدي الى حصول ما ينبغي ان يحصل وكذلك هو الحكم والثاني ايجاد هذه الآلات التي
هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية لتحوي الماء والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء والخيط
المشدود بها والظرف الذي فيه الكرة والطاس الذي يقع فيه الكرة وكذلك هو القضاء
الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب اسفل
الآلة ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه
الماء بنزوله ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء ثم الى حركة الخيط ثم الى
حركة الظرف الذي فيه الكرة ثم الى حركة الكرة ثم الى الاصدمة بالطاس اذا وقع ثم الى
الطنين الحاصل منها الى تنبيه الحاضرين واستماعهم ثم الى حركاتهم في الاشتغال
بالصلوات والاعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة وكل ذلك يكون بقدر معلوم
ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الاولى وهي حركة الماء فاذا فهمت
ان هذه الآلات اصول لابد منها للحركة وان الحركة لابد من تقدرها ليتقدر ما يتولد
منها فذلك فاتحة حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر اذا
جاء اجلهم اي حضر سببها وكل ذلك بتقدير معلوم ان اسر بالغ امره قد جعل الله
لكل شيء قدراً فالسموات والافلاك والكواكب والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام
العظام في العالم كتلك الآلات والسبب المحرك للافلاك والكواكب الشمس والقمر
بحساب معلوم كتلك الثقبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم وانقضاء حركة

الشمس والقمر والاكواكب لحصول الحوادث في الارض كافضاء حركة الماء الى حصول
تلك الحركات المقضية الى سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة ومثال
تداعي حركات السماء الى تغيرات الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى
المشرق فاستضاء العالم وتيسر على الناس الابصار فيتيسر عليهم الانتشار
في الاشغال فاذا بلغ المغرب تعذر عليهم ذلك فرجوا الى المساكن فاذا قربت من
وسط السماء وسامت رؤس اهل الاقاليم حمي الهواء واشتد القيظ وحصل
نضج الفواكه واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد واذا توسطت حصل
الاعتدال فظهر الربيع وانبتت الارض وظهرت الخضرة وقس بهذه المشهورات
التي تعرفها العرب التي لا تعرفها فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة
بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر والشمس والقمر بحسبان
اي حركاتهما بحساب معلوم فهذا هو التقدير ووضع الاسباب الكلية هو
القضاء والتدبير الاول الذي هو كالبصر والحكم وكما ان حركة الآلة والخياط
والكرة ليست خارجة عن مشية واضع الآلة بل فعله هو والذي اليده بوضع الآلة
فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها
غير خارج عن مشية الله تعالى بل ذلك مبدأه الله تعالى والجاري دبر اسبابه وتفهيم الامور
الالهية بالامثلة العرفية غير ولكن المقصود من الامثلة التنبيه فدع

الاصل السادس

المثال وتنبه للغرض واحذر من التمثيل والتشبيه الاصل السادس

في السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يغرب عن سمعه مسموع وان خفي
ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع عن رؤيته ظلام
يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصماخ واذان كما يعلم من غير قلب
ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا يشبه صفاته صفات الخلق كما
لا يشبه ذاته ذوات الخلق **الاصل السابع في الكلام** وانه متكلم آمر
ناه وانه متكلم بكلام ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا يشبه
ذاته ذات الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام ولا حرف
ينقطع بانطباق شفة وتحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه
المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب
وانه مع ذلك قديم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق
وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله سبحانه
من غير شكل ولا لون واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا
بصيرا متكلما بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات

الاصل الثامن في الافعال

وانه لا موجود سواه ولا مبدع لحادث غيره وفاعل من على الاجسام واعراضها
وفايض من على الجواهر والمادتها واتمها واعدلها وانه حكيم
في افعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم
بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يتصرف لغيره ملكا حتى يكون

تصرف فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان
ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد
العدم اختراعا واوجده بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن
معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما
حق في الازل من كلمته لا لافتقار اليه ولا لحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكوين
لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والا
والامتنان اذ كان قادرا ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب
الالام والاوصاب ولو فعل ذلك كان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه يثيب
عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه
فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه في الطاعات وجب بحكم الخلق
بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم با
بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم
فيما جاءوا به **الاصل التاسع في اليوم الآخر** وانه يفرق
بالموت بين الارواح والاجسام ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشور فيبعث من
في القبور ويحصل ما في الصدور ويرى كل مكلف ما عمله من خير او شر محضرا
ويصادف دقيقه وجليله مسطرا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ويعرف كل واحد مقدار عمله خيره وشره بمعيار صادق يعبر عنه بالميزان وان

كان لا يساوي ميزان الاعمال من ان الاجسام الثقال كما لا يساوي الاصطرلاب الذي
هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير والعروض الذي هو ميزان الاشعار
سائر الموازين ثم يحاسب عباده على افعالهم واقوالهم وسرايرهم وضمايرهم ونياتهم
وعقايدهم مما ابدوه واخفوه وانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح
فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وانهم يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود
بين منازل الاشقياء ومنازل السعداء احد من السيف وادق من الشعر يجتاز عليه
من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي توازيه في الخفاء والدقة ويتحدر
به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الامين على عند محكم الكرم وانهم عند ذلك
يتلون فيسئل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن
تكذيب المرسلين ومن شاء من المبتدعة عن السنة ومن شاء من المسلمين عن اعمالهم
فينال الصادقين عن صدقهم والمنافقين عن نفاقهم ثم يساق السعداء الى الرحمن
وفدا والاشقياء الى جهنم وردا ثم يامر بخارج الموحدين من النار بعد الانتقام
حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة
وللانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء ومن له رتبة بالشفاعة ثم يستقر
اهل السعادة في الجنة منعمين ابد الابدين متمتعين بالنظر الى الله تعالى ويستقر
اهل الشقاوة في النار معذبين بانواع العذاب معذبين عن النظر بالحجاب الى
وجه الله تعالى ذي الجلال والاكرام **الاصل العاشر في النبوة** انه

خلق الملائكة وبعث الانبياء وايدهم بالمعجزات ان الملائكة كلهم عباد مكرمون
عن عبادته ولا يستحسرون بل يسبحون الليل والنهار لا يفترون وان الانبياء
رسله الى خلقه وينتهي اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطوق بعض وحي يوحى العالم الهوى
وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم
والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع وجعله سيد الكل ومنح كمال الايمان
بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول وهو قول محمد
رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه من امر الدنيا والآخرة والزمهم
اتباعه والاقتداء به وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلم
يغادر شيئا يقربهم من الله تعالى الا امرهم به ودلهم عليه ولا شيئا يقربهم
الى النار ويبعدهم عن الله سبحانه الا نهاهم عنه وحذرهم طريقه وان ذلك امور
لا يرشد اليها مجرد العقل والذكاء بل هي اسرار يكاشف بها من حضرة القدس
قلوب الانبياء والحمد لله على ما ارشد وهدى واظهر من اسمائه الحسنى وصفاته
العلى والصلوة على محمد المصطفى خاتمة الانبياء وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا امين
رب العالمين **خاتمة** في التنبيه على الكتب التي يطلب فيها حقيقة هذه
العقيدة اعلم ان ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن اعني جملة ما يتعلق منها
بالنبوة واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي لا بد ان ينطوي عليها قلب كل مسلم عن
انه يعتقده ويصدقه تصديقا جزما وراء هذه العقيدة رتبتان احداهما

معرفة

معرفة ادلة هذه العقيدة الظاهرة من غير غوص على اسرارها والثانية
معرفة اسرارها وبواطن معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعا ليستا
واجبتين على جميع العوام اعني ان نجاتهم في الآخرة غير موقوف عليهما ولا فوزهم
موقوف عليهما وانما الموقوف عليها كمال السعادة واعني بالنجاة الخلاص من العذاب
واعني بالفوز الحصول على اصل النعيم واعني بالسعادة نيل غايات النعيم فالسلطان
اذا استولى على بلدة فتحها عنوة فالذي لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان اخرج
عن البلد والذي لم يعذبه ومع ذلك مكنه من المقام في بلده مع اهله واسباب
معيشته فهو مع النجاة فايز والذي خلع عليه واشركه في ملكه واستخلفه مع مملكته
وامارته فهو مع النجاة والفوز سعيد ثم زيادات درجات السعادات لا نهاية
لها **واعلم** ان الخلق في الآخرة ينقسمون الى هذه الاصناف واكثر منها
وقد شرحنا ما امكن من شرحه في كتاب التوبة فاطلبه فيه والرتبة الاولى
من الرتبتين وهي معرفة ادلة هذه العقيدة فقد اودعناها الرسالة القدسية
في قدر عشرين ورقة وهي احد فصول كتاب قواعد العقايد من كتاب الاحياء
واما ادلتها مع زيادة تحقيق وزيادة بيان في ايراد الاسولة والاشكالات
فقد اودعناها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد في مقدار مايتي ورقة وهو كتاب
مفرط براسه يحوي علم المتكلمين ولكنه ابلغ في التحقيق واقرب الى قرع ابواب
المعرفة من الكلام الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد

الا الى المعرفة فان المتكلم لا يفارق العامي في كونه عارفا وكون العالم معتقدا
بل هو ايضا معتقد عرف مع اعتقاده ادلة الاعتقاد ليوكد الاعتقاد ويثمره
ويحرسه عن تشويش المبتدعة ولا تنحل عقدة الاعتقاد الا انشراح المعرفة
فان اردت ان تتشوق شيئا من روائح المعرفة صادفت منها مقدارا
صالحا ما يعرفك كيفية حمر باب المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله
الحسنى لا سيما في الاسماء المشتقة من الافعال وان اردت صريح المعرفة بحقايق هذه
العقيدة من غير مجمجة ولا مراقبة فلا تصادفه الا في بعض كتبنا المضمون بها على غير
اهلها واياك ان تغتر وتحدث نفسك باهليته وتشرئب لطلبه فتهدف
للمتاهة بصريح الرد الا ان تجمع ثلاث خصال احدها الاستقلال في العلوم الدينية
الظاهرة ونيل رتبة الامامة فيها والثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية
بحيث الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى في محل تعلق الا الى الحق ولا اهتمام الا به ولا اشغل
الا فيه فيها ولا تصريح الا عليه والثالثة ان يكون قد اتيح لك السعادة
في اصل الفطرة بقريحة وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم ومشكلاتها
على سبيل البديهة والمبادرة فان البليد اذا اتعب خاطره والكد نفسه ربما ادرك
بعض الغوامض ايضا ولكن يدرك منها شيئا يسيرا في مدة طويلة فلن يصلح
لاقتباس المعرفة الحقيقية الا قلب صاف كانه مرآة مجلوة وانما يصير كذلك
بقوة الفطرة وصحة المقاصد ثم بازالة كدورات الدنيا عن وجهه فانه الرين

القسم الثاني في الاعمال الظاهرة وهي عشرة اصول

الاصل الاول الصلوة قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال صلى الله عليه وسلم
الصلوة عماد الدين واعلم انك في صلوتك مناج ربك فانظر كيف تصلي وحافظ
فيها على ثلثة امور لتكون من جملة المحافظين على الصلاة والمقيمين لها فان الله سبحانه
انما يامر بالاقامة ويقول تعالى اقم الصلوة واقيموا الصلوة وليس يقول صل ويثني
على المحافظين على الصلوة فيقول الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلوتهم يحافظون **الاول المحافظة على الطهارة** بان تسبغ
الوضوء قبل الصلوة واسباغها ان تاتي بجميع سننها وافكارها المروية عند كل
وظيفة منها ويحتاط في طهارة ثيابه وطهارة الماء الذي يتوضا به احتياطا لا يتفق
عليك باب الوساوس فان الشيطان يوسوس في الطهارة فيضيع اكثر اوقات العبادة
واعلم ان المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم طهارة البدن
وهو القشر القريب ثم طهارة القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق
اهم الطهارات كما سنذكره في القسم الثالث لكن لا يجدان يكون للطهارة الظاهرة
ايضا تاثير في اشراق نور على القلب فانك اذا اسبغت الوضوء واستعرت
نظافة ظاهرك صادفت قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه قبله
وذلك العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم

الشهادة والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته وانما هبوطه الى عالم الشهادة كالغريب
قبيلته وكما ينحدر من محارف القلب اثار الى الجوارح فلذلك قدير تفع من احوال الجوارح
اثار الى القلب ولذلك امرنا مرارا بالصلوة مع انها حركات للجوارح التي هي من عالم
الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا وقال حبب الي
من دنياكم ثلث الحديث فلا يتجدان يفيض من طهارة الظاهر اثر على الباطن
في بديع صنع الله امور اعجب من هذا افقد عرف بالتجربة ان الجامع في حال مباشرته
لوادم من النظر الى بياض مشرق او حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون
المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه وان الجنين وقت ما يتحرك في الباطن عيل صورته
الحسن ان كانت الام شاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على
نفسها ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشر عند مباشرته ان يحضر في قلبه اراد صلاح
المولود ويدعو الله تعالى بذلك فيقول اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا حتى
يفيض الله تعالى مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث بواسطة
الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله تعالى النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على
بعض الاجسام المحاذية للمرآة **وهذا الان يقرع** بابا عظيما من معرفة
عجايب صنع الله تعالى في الملكوت والى قريب منه يرجع سر الشفاعة في الاخرة فلنتجاوزه
ففرضنا الان ذكر الاعمال دون المعارف وقد اشممناك شيئا يسيرا من روائح اسرار الطهارة
الظاهرة فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء من الصفاء وصفاء **فاعلم**

ان الحذر الذي عرض على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال
حس القلب فصار لا يحس باللطايف والاشياء الخفية اللطيفة ولم يبق في قوته
الا ادراك الجليات ان بقي واشتغل بجلاء قلبك وتصفيته فذلك اوجب عليك من كل عبادات
فيه **المحافظة الثانية** ان تحافظ على سنن الصلوة واعمالها الظاهرة
واذكارها وتجيء بها حتى ياتي بها بجميع السنن والاداب والهيات كما
جمعناها في كتاب بداية الهداية فان لكل واحد منها سرا اولا تاثير في القلب كما
نبهنا بل اشد وابلغ وشرح ذلك وطول وانت اذا اتيت بذلك انتفعت به وان
لم تعلم اسرارها كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم يعرف طبايع اخلاطه
ووجوه مناسبته لمرضه **واعلم** على الجملة ان الصلوة صورة صورها رب
الارباب كما صور الحيوان مثلا فروحها النية والاخلاص وحضور القلب بدفع الاعمال
واعضاؤها الاصلية الاركان واعضاؤها الكمالية الالفاظ فالاخلاص والنية فيها
يجري مجرى الروح والقيام والقعود يجري مجرى البدن والركوع والسجود يجري مجرى
الراس واليد والرجل واكمال الركوع والسجود والطمانينة وتحسين الهيئة يجري مجرى
حسن الاعضاء وحسن اشكالها والوانها والاذكار والتسبيحات الموعة فيها
يجري مجرى الآت الحس الموعة في الراس والاعضاء كالعينين والاذنين
وغيرها معرفة معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوة الحس
الموعة في الآت الحس كقوة السمع وقوة البصر والشم واللمس والذوق في معادنها

واعلم ان تقربك بالصلوة كتقرب بعض خدم السلطان باهداء
وصيفة الى السلطان واعلم ان فقد النية والاخلاص من الصلوة كفقد الروح من
الوصيفة والمهد للجيفة الميتة منهزئ بالسلطان فيستحق سفك الدم وفقد
الركوع والسجود يجرى مجرى فقد الاعضاء وفقد الاذكار يجرى مجرى فقد العينين
من الوصيفة وجذع الانف والاذنين وعدم حضور القلب وغفلته عن معرفة معانى
القران والاذكار كفقد البصر والسمع مع بقاء جرم الحدقة والاذن والا يخفى عليك من
من اهدك وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان واعلم ان قول الفقهاء
فى الصلوة الناقصة الفاظها وسننها انها صحيحة كقول الطبيب فى الوصيفة المقطوعة
اطرافها انها حية وليست بميتة فان كان ذلك كافيا فى التقرب بها الى السلطان ونيل
الكرامة منه فاعلم ان الصلوة الناقصة صالحة للتقرب بها الى الله سبحانه ونيل
الكرامة وان اوشك ان يرد ذلك على المهدى يزجر فلا يبعد مثل ذلك فى الصلوة فانها
قد ترد على الصلى كالخرقة الخلقة كما ورد فى الخبر

واعلم ان اصل الصلوة
التعظيم والاحترام واهمال ادب الصلوة ينافض التعظيم والاحترام

المحافظة الثالثة ان تحافظ على روح الصلوة وهو الاخلاص وحضور القلب فى جملة الصلوة
والتصاريف القلب فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع عما وافقه ظاهرك
فان المراد حضوع القلب لا حضوع البدن ولا تقول الله اكبر وفى قلبك شئ اكبر من الله تعالى ولا
تقول وجهت وجهى الا وقلبك متوجه بكلية وجهه الى الله ومعرض عن غيره ولا تقول الحمد لله

رب العالمين وقلبك طامح بشكر نعمة فى مستبشر والا تقول واياك نستعين الا وانت مستشعر
ضعفك وعجزك وانه ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شئ وكذلك فى جميع الاذكار والاعمال
وشرح ذلك يطول وقد شرحناه فى كتاب الاحياء فجاهد نفسك فى ان ترد قلبك
الى الصلوة حتى لا تغفل من اولها الى اخرها فانه لا يكتب للرجل من صلاته الا ما عقل
منها فان تعذر عليك الاحضار والادراك فانظر فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين فلا
تعد الصلوة ولكن افهم ان النوافل جوابر الفرايض فتنقل بمقدار ان تحض قلبك
مثلا فى عشر ركعات بمقدار اربع ركعات وهو قد فرض فمن رحمة الله عليك
ان قبل منك جبران بالنوافل فهذه اصول المحافظة على الصلوة

الاصل الثانى فى الزكوة والصدقة قال الله سبحانه سنابل فى كل سنبلة
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال بالمال
هكذا **فاعلم** ان انفاق المال فى الخيرات احد اركان الدين وانما سر التكليف به ان المال
بجملة مما يرتبط به من مصالح البلاد والعباد وسد الخلات والفاقات ان المال
محبوب الخلق وهم مامورون بحب الله ويدعون الحب بنفس الايمان فجعل بذل
المال محيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم فى دعواهم فان المحبوبات كلها بذل الاجل
المحبوب الاغلب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه على ثلاث طبقات

الطبقة الاولى وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا ولم يدخروا لانفسهم شيئا وهؤلاء صدقوا ما
عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل ابو بكر الصديق رضى الله عنه اذ جاء بماله كله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

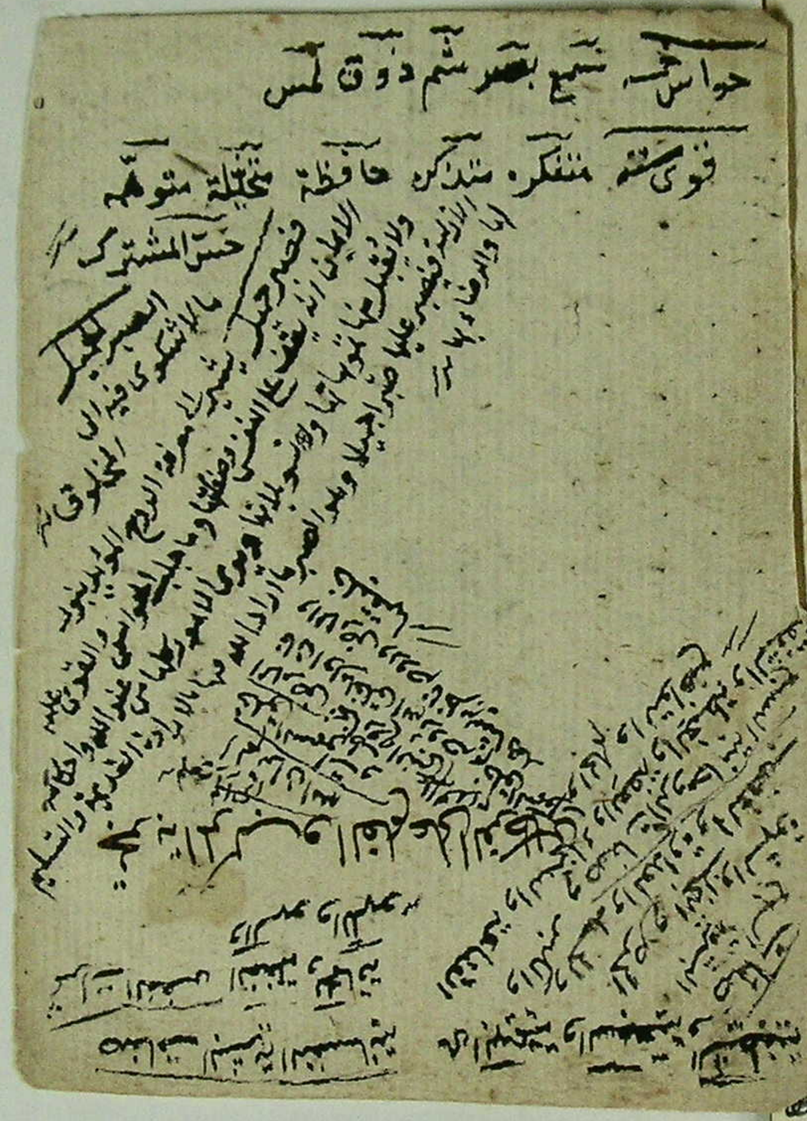
حواس خمس سمع بصر شم ذوق لمس

قوی ستہ متذکرہ حافظہ متخیلہ متوہمہ

حس المشترک

المصور للجسد

ما لا تشکوی فیہ ان

المخلوق ثم

فضم جمیل یشبہ

ثقع العنق وضفاہا

والاطلس زنہ

وانقل عنا تنوبا

وا

ما ذا ابقیت لنفسک قال مثلہ ای مثل ما اتیت بہ فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم بینکما مابین مثلہ

مابین کلتیکما **الطبقۃ الثانیۃ** المتوسطون وہم الذین لا یقدرون اعلی احلاء

الید عن المال عند الحاجۃ ولکن امسکوہ الا التنعم بل للانفاق عند ظہور المحتاج الیہ

فہم یقتصرون فی حق انفسہم بما یقوتہم علی العبادۃ واذا محتاج بادار والی مسکین عرض

خلۃ وحاجۃ لم یقتصروا علی قدر الواجب من الزکوۃ وانما عرضہم الظاہری الامساک

ترصد الحاجات **الطبقۃ الثالثۃ** الضعفاء وہم المقتصرون علی

اداء الزکوۃ الواجبۃ فلا یزیدون علیہا ولا ینقصون منہا فہذہ درجاتہم وبذلہ

کل علی مقدار حجۃ الک تقدر علی الدرجۃ الاولی والثانیۃ ولکن اجتہد حتی تجاوز واحدہ وحاہ

الدرجۃ الثالثۃ الی اواخر طبقات المقتصدین المتوسطین فتزید علی الواجب

ولو شیا یسیرا فان مجرد الواجب حد البخلاء قال اللہ تعالی ان یسئلکموہا فیحفکم تبخلوا

ای یستقص علیکم وقت عن درجۃ البخلاء فان لم تملک شیئا فلیست الصدقۃ تکلفنی المال علیکم ان لا تستحضروہ

الا وتتصدق بشق ورد الواجب ولو بکسرۃ خبز مدینع بیدک ہ

لکن کل کلمۃ طیبۃ وشفاعۃ ومعونۃ لذی حاجۃ وعیادۃ مریض وتشییع جنازۃ محمل

ان تبذل شیئا مما تقدر علیہ من جاہ ونفس وکلام لتطیب قلب مسلم فیکتب جمیع ذلک

لک صدقۃ وحافظ زکوۃ کل وصلۃ کل وصدقۃ علی خمسۃ امور الامر الاسرار

فان فی الخبر ان صدقۃ السر تطفئ غضب الرب والذی یتصدق بیمینہ بحیث لا تعلم

شمالہ احد السبعۃ الذین یظلہم اللہ یوم لا ظل الا ظلہ وقد قال اللہ تعالی ان تخفوہا وتوتوہا الفقراء ہ

الفقراء فہو خیر لکم ویذکر لتتخلص عن الریاء فانہ غالب علی النفس وہو مہلک ینقلب اہ

امام عادل وشاب نشا فی طاعۃ اللہ ورجل قلبہ معلق بالمسجد منحین خرج منہ حتی یعود الیہ ورجل تحابا فی اللہ ورجل ذکر اللہ خالیا ففاضت عیناہ ورجل دعتہ امرأۃ ذات حسن ومال فقال انی اخاف اللہ ورجل تصدق بصدقۃ فاخفاہا حتی لا تعلم شمالہ ما انفقت یمینہ اہ

وضع

وضع الانسان في قبره في صورة حية اذ يوم ايلام الحية والبخل ينقلب في صورة عقرب

والمقصود في كل الانفاق الخلاص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الرياء كان كأنه جعل

عقده سم

غذاء الحية فيتخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية اذ كل صفة من الصفات المهلكات

مهلكة ح

في القلب انما غذاؤها وقوتها في اجابتها الى مقتضاها **الثاني** ان تحذر من المن وحقيقته

ان ترى نفسك محسنا الى الفقير متفضلا عليه معلما ان توقع منه شكرا او تشكره

تقصيره في حقك ومعاملته عدوك استكثارا بريد عما كان قبل الصدقة فذلك يدل على

انك رأيت لنفسك عليه فضلا وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك بقبول حق الله منك

فان من اسرار الزكوة تطهير القلب وتزكيته عن رذيلة البخل ومحبث الشح ولذلك كانت

الزكوة مطهرة اذ بها حصلت الطهارة فانها غسالة نجاسة ولذلك ترفع رسول الله

صلى الله عليه وسلم واهل بيته من اخذ الزكوة وقال انها اوساخ اموال الناس واذا اخذ الفقير

منك ما طهرك فله الفضل عليك ان رأيت لو كان فصادا فصدك مجانا واخرج من

باطنك الدم الذي تخشى ضرره في الحيوة الاخرة او في الدنيا كان الفضل الكامل له فالذي

يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحيوة الاخرة اولى بان تراه متفضلا

الثالث ان تخرج من اطيب اموالك واوجدها قال الله سبحانه ويجعلون لله ما يكرهون

وقال ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب

يعني الحلال فان المقصود من هذه اظهار درجة الحب والانسان يؤثر الاحب اليه الانفس

دون الاخس **الرابع** ان تعطي بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير مستكره

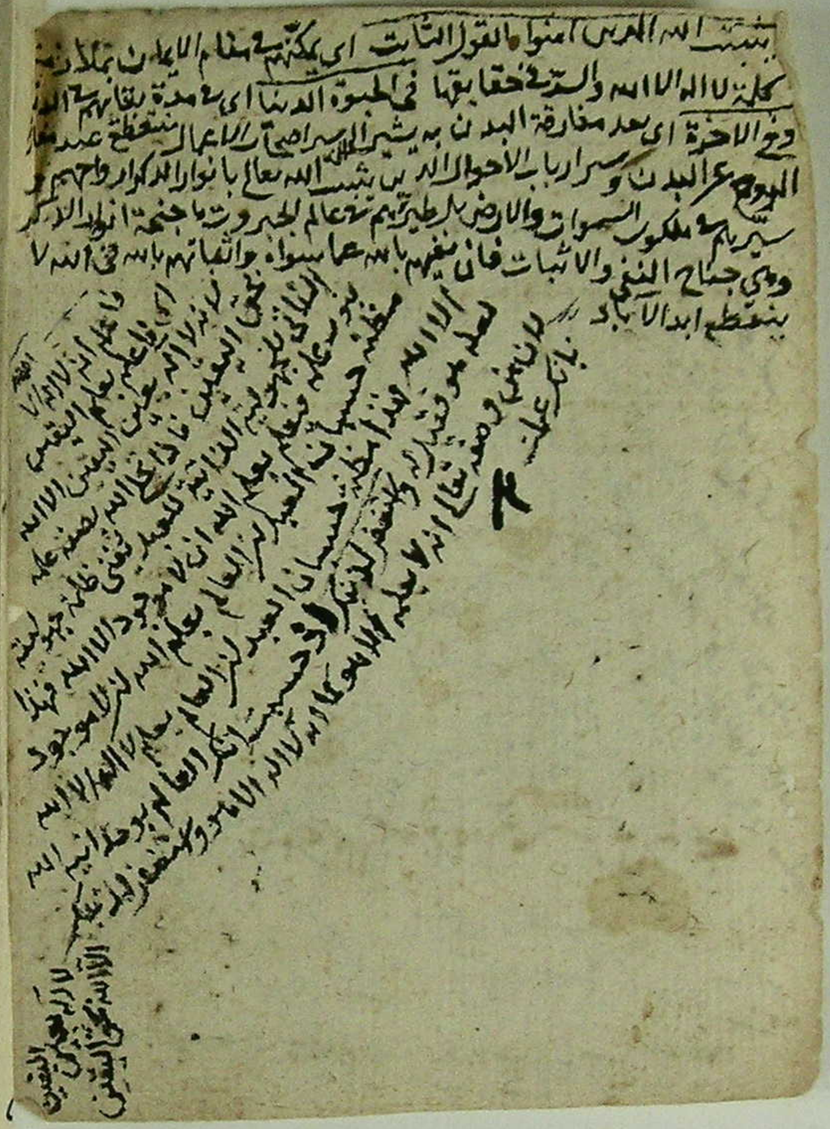

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف وانما اراد ما يعطيه عن طيب نفس من انفس ماله واجوده فذلك افضل من مائة الف مما لا كراهية فيه **الخامس** ان تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة وهو المتقي العالم الذي يستعين بما يعطى على طاعة الله عز وجل وتقواه والصالح المعيل ذو الرحم فان لم تجتمع هذه الاوصاف فتزكو الصدقة باحادها ايضا ورعايت الصالح اصل الامور فما الدنيا الا بلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد فليصرف الى المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي

الاصل الثالث في الصيام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه كل حسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقال لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وانما كان الصوم مخصوصا بهذه الخواص لامرين احدهما انه يرجع الى كف سر لا يطلع عليه احد غير الله تعالى كالصلوة والزكوة وغيرهما **الثاني** انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو والا بواسطة الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان فلذلك قال عليه السلام ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النيران وصفدت الشياطين وناد مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر واعلم ان الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلاث درجات وبالاضافة الى اشراره على ثلاث درجات امادرجات مقداره فاقلها الاقتصار على شهر رمضان واعلاها صوم داود عليه السلام وهو ان يصوم يوما ويفطر يوما ففي الخبر الصحيح ان ذلك افضل من صوم الدهر وانه افضل الصيام وسره ان من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه في نفسه بالانكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف فان النفس انما تتاثر بما ترى عليها الا ما جمعت عليه فلا يبعد هذا فان الاطباء ايضا ينهون عن اعتياد شرب الدواء وقالوا من تعود ذلك لا ينتفع به اذا مرض اذ يألفه مزاجه فلا يتاثر به **واعلم** ان طب القلوب قريب من طب الابدان وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه لما كان يسأله عن الصوم فقال صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا صام الدهر فقال ما صام ولا افطر كما قالت عائشة رضي الله عنها لرجل كان يقرأ القرآن كله في ركعة ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت واما الدرجة المتوسطة فهو ان تصوم ثلث الدهر وهو صمت الاثنين والخميس واضف اليه رمضان فقد صمت من السنة اربعة اشهر واربعة ايام وهو زيادة على الثلث لكن لا بد ان ينكسر يوم من ايام التشريق فيرجع الزيادة الى ثلثة ايام ويتصور ان ينكسر في العيدين يومان فتكون ثلاثة ايام فيرجع الزيادة الى يوم واحد فتامل حتى تعرفه فلا ينبغي ان ينقص من هذا القدر صومك فانه خفيف على النفس وثوابه جزيل اما درجات اشراره فثلاث ادناها ان يقتصر على الكف عن المفطرات ولا تكف جوارحك عن الحرام وذلك صوم العموم وهو قناعة بالاسم **الثانية** ان تضيف اليه كف الجوارح فتحفظ

اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالريبة وكذا سائر الاعضاء **الثالث** ان يصون
اليد صيانة القلب عن الفكر والوساوس وتحلم مقصورا على ذكر الله تعالى وذلك صوم
خصوص الخصوص وهو الكمال ثم للصيام خاتمة بها يكمل وهو ان يفطر على طعام
حلال لا على شبهة وان يكثر من اكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة فيكون
قد جمع بين الكمالين وفعل واحدة فتثقل محدثه وقوى شهوته ويبطل سر الصوم
وفايدته ويفضي الى ان يتكاسل عن التهجد وربما يستيقظ قبل الصبح وكل ذلك
خسران وربما لا يواريه فايدة الصوم **الاصل الرابع في الحج** قال الله تعالى
وتله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال النبي عليه السلام الحج
مرة فمن زاد فهو تطوع فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وقال عليه السلام بني الاسلام على
خمس وعد الحج واعمال ظاهرة ذكرناها في الاحياء ونتكلم الآن على اداب وقته
واسراره باطنة اما الاداب فسبعة الاول ان تزيد في الطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة
حلالا فان الزاد الحلال ينور القلب والرفيق يذكر الصالح يذكر الخير ويزجر عن
الشر **الثاني** ان يحترز ما امكنه من مال التجارة فلا ينشعب فكره وتنقسم خاطره
ولا يصفو للزيارة قصده **الثالث** ان يوسع في طريقه الطعام ويطيب الكلام
مع الرفقاء والمكارين **الرابع** ان يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول وامور
الدنيا بل يقصر لسانه بعد مهماته حاجزا على الذكر وتلاوة القرآن **الخامس**
ان يركب راحلة دون المحمل ويكون زيه الهيئة اشعث اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين

حتى لا يكتب في زمرة المترفهين **السادس** ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيها للدابة
وتطييبا لقلب المكاري وتخفيفا للاعضاء بالتحرك ولا يحمل الدابة ما لا تطيق بل يرفق بها
ما امكن **السابع** ان يكون طيب النفس بما انفق من نفقة وبما اصابه من تعب
وخراب وان يرى ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه اما اسرار فكثيرة
نذكر منها الى فنين احدهما انه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل كما ورد به
الخبر فجعل الله الحج رهبانية لامة محمد فشرف البيت العتيق واضافه الى نفسه ونصبه
مقصدا للعباد وجعل حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان
على فناء صرحه والحرمة الموضح بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لجلاله لرب البيت خضوعا
لجلاله واستكانة لعزته مع اعتراف بتنزهه عن ان يكتنفه بيت او يحويه مكان ليكون
ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم وتذكرهم على اعمالا غريبة لا يناسب الطبع والعقل
ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية وامتثال الامر من غير معاونة باعث آخر وهذا سر
عظيم في الاستعباد والثاني قال صلى الله عليه وسلم لبيك بحجة حقا تجل ورقا الف
الثاني ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر المريد بكل عمل من اعماله امرا
من امور الآخرة موازيا له فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر فتذكر
من اول سفرك عند وداعك اهلك وداع الاهل عند سكرات الموت ومن مفارقة الوطن
الخروج عن الدنيا ومن ركوب الجمل ركوب الجنازة ومن الاتزار بثوب الاحرام

الالتفاف في ثوب الكفن ومن دخول البادية الميقات ما بين الخروج من
الدنيا الى ميقات القيمة ومن هول قطاع الطريق سؤال منكر ونكير ومن كلاح
البوادي عقارب القبر ودياته ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر
ووحدته ومن التلبية اجابة نداء الله تعالى عند البعث اذا كان محمد سائر الاعمال فان
في كل عمل سرًّا وتحته رمزًا تنبّه له كل عبد بقدر استعداده المتنبه بصفاء
قلبه وقصور همته على مهمات الدين الفصل الخامس في قراءة القرآن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال عليه السلام لو كان القرآن
في اهاب ما مسته النار وقال عليه السلام ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى
يوم القيمة من القرآن لنبي ولا ملك ولا غيره وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة
القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين واعلم
ان لقراءة القرآن آدابًا ظاهرة واسرارًا باطنة اما الآداب الظاهرة فثلثة
الاول ان تقرأه باحترام وتعظيم ولن تلزم الحرمة قلبك مالم تلزم هيئة الحرمة
ظاهرك وقد عرفت كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه
فهيئة الحرمة ان تجلس وانت على الطهارة ساكنًا مطرقًا مستقبل القبلة
غير متكئ ولا مترب ولا نايم كما تجلس بين يدي المقرئ وتقراه بترتيل وتفخيم
وتؤدة حرفًا حرفًا من غير هذرمة قال ابن عباس رضي الله عنه لان اقرأ اذا زلزلت
والقارعة ادبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرًا والثاني

ان تتشوف في بعض الاوقات الى اقصى درجات الفضل فيه وذلك بان تقرأه في الصلوة
قائمًا خصوصًا في المسجد وبالليل لان القلب في الليل اصفى لانه افرغ فارغ وان خلوت
بالنهار فتردد الخلق وحركتهم في اشغالهم تحرك باطنك وتشغلك خصوصًا
عن ان كنت تتوقع ان تطلب منك من الاعمال والاشغال فكيف ما قرأته وانت مضطجعا
من غير طهارة فلا تخلو عن الفضل فان الله تعالى اثنى على الحجج وقال الذين يذكرون الله
قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم الاية ولكن ما ذكرناه من زيادة الفضل فان كنت من
مريد طريق الآخرة فلا يسهل عليك ترك الفضل وقال رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو
قائم في الصلوة فله بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ في غير الصلوة وهو على وضوء فخمس
وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات الثالث في مقدار
وله ثلث درجات ادناها ان تختم في الشهر مرة واقصاها ان تختم في ثلثة ايام
وقال عليه السلام من قرأ القرآن في اقل من ثلث فلم يفقهه واعدلها ان تختم
في الاسبوع مرة واما الختم في كل يوم فغير مستحب واياك ان تنقص تتصرف
بعقلك فتقول ما كان خيرًا ونافعًا فكلما كان اكثر كان انفع فان عقلك لا يهتدي
الى اسرار الامور الآلهية وانما يتلقاها قوة النبوة فعليك بالاتباع فان خواص
الامور لا يدرك بالقياس او ما ترى كيف ندبت ام الصلوة عن الصلوة في بعض
النهار وامرت بتركها بعد العصر وبعد الصبح وعند الطلوع والغروب والزوال وذلك
ينتهي الى قدر ثلث النهار كيف واثر الفساد ظاهر على قياسه هذا لقول القايل الدواء

نافع للمريض فكل ما كان اكثر كان انفع وانت تعلم ان كثرة الاوراد ربما يُقتل واما الاسرار
الباطنة فخمسة الاول ان تستشعر في اول قراءتك عظمة الكلام باستشعار تعظيم
المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس
والحيوانات وتتذكر ان الخالق لجميعها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون
بين فضله ورحمته وانك تريد ان تقرأ كلامه وتنظر الى صفة ذاته وتطالع جمال
علمه وحكمته وتعلم انه كما لا يمس ظاهر المصحف الا المطهرون بظواهرهم وهم محجوبون
عن غير علم فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل رجس
وخبث من خبايث الباطن وبمثل هذا التعظيم كان عكرمة اذا فتح المصحف ربما غشي
عليه ويقول هذا كلام ربي هذا كلام ربي واعلم انه لولا ان انوار كلامه العزيز وعظمته
غشيت بكسوة الحروف لما اطاقت القوة البشرية سماعه لعظمته وسلطانه
وسبحات نوره ولو لا تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلام لما اطاق سماعه مجردا عن كسوة الحروف
والاصوات كما لم يطق الجبل بمبادي تجليه حتى صار دكا دكا **الثاني** ان تقدر بتدبر
معانيه ان كنت من اهله وكلما يجري لسانك به في غفلة فاعده ولا تعده من علمك لان
الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها
ولا في قراءة لا تدبر فيها واياك ان تصير مشغوفا بعدد الختمات على تفاصيل فلان
ان ترددت آية واحدة ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين فقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنا

بنا ليلة فقام بآية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وقام تميم الداري ليلة يقول سبحانه
ام حسب الذين اجترحوا السيئات وقام سعيد بن جبير ليلة يقول وامتازوا اليوم
ايها المجرمون وحق الاليق بك كما قال بعض العارفين اذ قال لي في كل جمعة ختمة وفي
كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وفق لكل بحسب
درجات التدبر فان القلب في بعض الاوقات لاحتمال التدبر الطويل فليكن للتدبر
الطويل ختمة خاصة **الثالث** ان تحتفي في تدبر كل ثمار المعرفة من اغصانها
وتقتبسها من اوطانها ولا تطلب الترياق من حيث تطلب الجواهر منه الجواهر والا الجواهر
من حيث يطلب منه المسك والعود فان لكل ثمرة غصنا ولكل جوهر معدنا وانما يتدرك
هذا بان تعرف الاصناف العشرة التي حصرنا فيها اقسام القرآن وهي عشرة معادن
فما يتعلق من القرآن باسمه وبصفاته وافعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة
وما يتعلق بالارشاد الى الطريق المستقيم فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء
والقهر والتحذير وما يتعلق باحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل
والكرم وكذلك كل صنف ما يليق به فلا تنظر اليها بعين واحدة وشرح ذلك يطول
الرابع ان يتخلى من موانع الفهم وهي الاكنة التي تمنع من الفقه قال الله تعالى انا جعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا الاية ولولا ان الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واعلم ان معاني القرآن من جملة الملكوت وانما
حروفها من عالم الشهادة والاكنة التي يبتلى بها المتقي المتعطش الى الحق نوعان اما ما يبتلى به

الى الشكل

الخوف الايمان من حجاب الشكل والجحود واما مايبتلى به المتهمك في الدنيا من حجاب الشهوات
المستغرقة للقلب فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا من فهم لطائف القرآن واقتباس انواره
فيها حجب اكثر الخلق واما العباد المتجردون لطريق الله عز وجل فمحجوبون بنوعين
احدهما الوسواس الصارف للقلب الى التفكر في النية واتيانها كيف كانت في الابتداء وهل
بقيت الآن وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان في الصلوة او الوسواس الصارف
للهمم الى التصحيح مخارج الحروف والتشكل فيها واعادتها لاجل ذلك وهذا يجري في الصلوة
وغيرها فكيف يطالع اسرار الملكوت قلب محجوب مصروف الى مطالعة الشفتين
وكيفية انطباقهما واللسان والحنك وكيفية انسلال الهواء من اضطكاكها وهو مع
تقطيع الحروف وتصحيحها النوع الثاني التقليد لظواهر معاني القرآن والجمود
عليها وذلك حجاب عظيم عن الفهم ولست اعني به التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل
التقليد الحق ايضا فان الذي كلف الخلق اعتقاده له درجات وله مبدء ظاهر وهو كالقشر
والمثال وله غور باطن وهو كاللباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للقرآن ظاهرا وباطنا
وحدا ومطلعا فالجامد على الظاهر الظان انه ليس وراءه مرمى يرتقي اليه كيف يتصور
ان تنكشف له فوائد كافي الخلق مثلا ان يعتقد ان الله تعالى يرى ولكن الرؤية ظاهر وسر
فمن اعتقد ان رؤية الله تعالى مناسبة للتي يراها الانسان في هذا العالم كيف يتصور ان
يطلع على سر قوله تعالى لن ترانى وكيف يفهم ان ذلك ممتنع في هذه الحيوة الدنيا بهذه
العين الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار وكيف يدرك قولهم لا تدركه الابصار

بفهم

مع

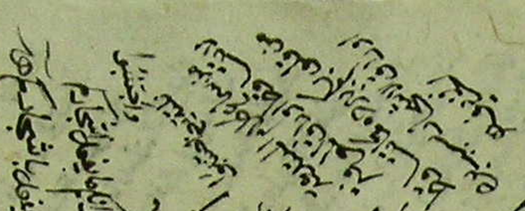

مع قولهم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ويكفيك هذا المثال الواحد فلسنا نكشف
لك اكثر من هذا ولسنا نقصد في هذا الاصل الا التلويحات لمبادي الاسرار تشويقا
للمستعدين لها الخامس ان لا تقتصر على اقتباس الانوار بل تضيف اليها
اقتباس الاحوال والاثار وذلك ان لا تقرأ اية الا وان تصير بصفتها فتكون لك بحسب
كل فهم حال ووجد فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر كانك تطير من الفرح
وعند الغضب وشدة العقاب تتضاءل كانك تموت من الفزع وعند ذكر اسمائه
وعظمته تتطاطأ وتتضاءل حتى كانك تتمحق من مشاهدة الجلال وعند ذكر الكفار
ما يتحيل عليهم من ولد وصاحبة تنكس وتغض صوتك كانك تنظمهم من الحياء
وكذلك في كل صنف من الاصناف في العشرة وذلك يطول وليظهر اثر ذلك على جوارحك من بكاء
عند الحزن وعرق صبب عند الحياء واقشعرار الجلد وارتعاد الفرايص عند المهيبة
والجلال والانبساط الى الاعضاء واللسان والصوت عند الاستبشار وانقباض فيها عند
الاستشعار فاذا فعلت ذلك استدرك في نيل حظ القرآن جميع اجزائك فاضت اثار
القرآن عليها وعلى الملك الثلثة اعني عالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم الشهادة واعلم
انك مركب من العوالم الثلثة فقيل من كل عالم جزء واعلم ان محض انوار المعرفة
تفيض من عالم الملكوت الى سر القلب لانه ايضا واما آثارها من الخشية والخوف
والسرور والطمينة وساير الاحوال فانها تهبط من عالم الجبروت ومهبطها الصدر الذي
هو من عالم الجبروت وهو عالم آخر من عوالم الملك كينا عن الاقوال بالقلب لان عالم الجبروت

١٨
18

بين عالم الملكوت وعالم الشهادة كما ان الصدر بين القلب والجوارح واما الانكار والشهيق والاقشعرار

وارتعاد الفرايص فينزل من عالم الشهادة ومضبطها الجوارح لانها من عالم الشهادة وما ادراك

تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل ومن الصدر غير العظم المحيط به فانك لا تدرك من كل

شيء الا غلافه وقشره وما ابعدك فان هذا للبهايم والميت ولا تنال عليه انوار المعارف والعلوم

والاثار بها من الخشية والهيبة والسرور فان اردت ان تستشق شيئا من روايح هذه الاسرار

وما اراك تريد فقد اخذ الشيطان بخنقك بحبال الشهوات فعليك بباب التوحيد من اول

كتاب التوكل ان اردته واعلم ان القرآن كالشمس وفيضان اسرار المعارف منه على القلب

كفيضان انوار الشمس على الارض وسريان آثار الخوف والخشية والهيبة وساير الاحوال منه على الصدر

كسريان حرارة الشمس في باطن الارض تابعا لاشراق الانوار وان الخشية اثر نور المعرفة

وانما يخشى الله من عباده العلماء فانتشار الحركات والتغيرات الى الجوارح من البكاء والعرق والا

قشعرار والارتعاد منبعثا من اثار الخشية وساير الاحوال كحركة اجزاء الارض بتصاعد

البخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تتبع الحرارة والحرارة تتبع النور

والنور يتبع وقوع المحاذاة بين الارض والشمس فاجتهد بان تحاذي بوجه قلبك شطر شمسه

القرآن وتستضيء بانواره كذلك وان لم تطق هذا فاصغ الى النداء الوارد من جانب الطور الايمن

فان انست من جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشعل منه سراجا فان كان يتسنى لك هذا

فيضيء ولو لم تمسه نار فاذا مسته النار انبعثت منه الضياء ووجدت على النار هدى

وقام حقك مقام الشمس المنتشرة الاشراق والضياء

الاصل السادس ذكر الله عز وجل

في كل حال قال الله سبحانه واذكروا الله ذكرا كثيرا لعلكم تفلحون وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر اسم

ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم

السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سخيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير

اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير

لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال ذكر الله وقال

ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله فقال

المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا واعلم انه قد

انكشف لارباب البصاير ان الذكر افضل الاعمال ولكن له ايضا قشور ثلثة بعضها اقرب الى

اللب من بعض ذكر وله لب وراء القشور الثلثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه والقشر

الاعلى منه ذكر اللسان فقط الثاني ذكر القلب فان القلب قد يحتاج الى اللسان موافقته حتى يحضر مع الذكر

ولو ترك اللسان وطبعه لاستبرسك اودية الافكار الثالث ان يستمكن الذكر من القلب ويتوطن عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف

في قراره معه ودوامه عليه الرابع وهو اللباب ان يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر

ويخفى وهو اللباب المطلوب فذكر بان لا يلتفت الذكر ولا القلب بل يستغرق المذكور

جملته وهما وما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل وهذه

الحالة يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بان يغيب عن نفسه حتى الحس بشيء فلو ضربت

جوارحه ولامن الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك

سلطان بکه لامیر
وزید علیه عارات

ویغیب عنه جمیع ذلک ذاهبا الی ربه او قائما ذاهبا فیه آخر او ان خطر له فی اثناء ذلک انه فنی
عن نفسه بالکلیة فذلک شوب وکدورة بل الکمال فی ان یفنی عن نفسه ویبقی عن الفناء ایضا
فان الفناء عن الفناء غایة وهذا قد یظنه الفقیه الرسمی انه طامات غیر معقولة
ولیس کذلک بل هذه الحالة تلم بالاضافة الی محبوب هم کحالتک فی کثیر الاحوال بالاضافة الی محبوبک
من جاه او مال او معشوق فانک قد تکون مستغرقا لشدة الغضب بالفکر فی معشوقک حتی لا یکون
فیک متسع لشیء اصلا فتخاطب فلانا فلم تفهم وتحدث بین یدیک غیرک فلا تراه وتعیا ک
مفتوحان وتتکلم عندک فلا تسمع وما باذنیک صمم وانت فی هذه الاستغراق غافل عن
کل شیء وعن الاستغراق ایضا فان الملتفت الی الاستغراق فی الله فرض عن المستغرق به والما
سموا هذه الحالة فناء وان کان الشخص والظل باقیا لان الاشخاص والاظلال بالسایر
المحسوسات لیس لها حقیقة الوجود بل الوجود الحقیقی لعالم الامر والملکوت والقلب من عالم
الامر قال الله سبحانه قل الروح من امر ربی والقلب من عالم الخلق واعنی بالقلب اللطیفة الذاکرة
العارفة التی هی مهبط الانوار الالهیة دون القلب الظاهر فان ذلک من عوالم الخلق فلا تتوهم من
هذا اشارة الی قدم الروح وحدوث القالب بل هما جمیعا حادثان واما اعنی بالخلق ما یقع علیه
المساحة والتقدیر وهی الاجسام وصفاتها واعنی بعالم الامر ما لا یتطرق الیه التقدیر
والعالم الجسمانی لیس له وجود حقیقی بل هو من ذلک العالم کالظل من الاجسام ولیس
لظل الانسان حقیقة الانسان ولیس للشخص حقیقة الوجود بل هو ظل الحقیقة والکل من
صنع الله تعالی ولله یسجد من فی السموات والارض طوعا وکرها وظلالهم بالغدو والاصال وسجود

الفناء ح

ای قاعدات الصلوة

علم

عالم الامر طوع بنانه ویسجد الظلال کرها وتحته سر بالاسرار یتحرک اوایلها سلسلة الجانین
الجمع فضلا او اخرها فلنتجاوزها فقد اتممنا کما اردوه بالفناء فدع عنک الغیبة
والتکذیب بما لم تحط بعلمه وقال تعالی وانما یهتدون به فسیقولون هذا افک قدیم فاذا
فهمت الفناء فی المذکور فاعلم انه اقرب الطریق وهو الذهاب الی الله عز وجل وانما الهدی
بعد اعنی بالذکر بعد الذکر کما قال الخلیل صلوات الله علیه انی ذاهب الی ربی سیهدین فاول الامر
ذهاب الی الاسم ثم ذهاب فی اسم وذلک هو الفناء والاستغراق به ولکن هذا الاستغراق اولا
یکون کبرق خاطف قلما یثبت ویدوم فان دام ذلک صارت عادة راسخة وهیئة ثابتة عرج
به الی عالم العلی وطالع الوجوه الحقیقی الاصفی وانطبع له نقش الملکوت وتجلی له قدس الاهوت
واقل ما یتمثل له منه لکل العلم جواهر الملایکة وارواح الانبیاء والاولیاء فی صورة جمیلة
یفیض الیه بواسطتها بعض الحقایق مذکر فی البدایة الی ان تعلو درجته عن المثال ویکلم
بصریح الحق فکل شیء فاذا رد الی هذا العالم الجسمانی الذمیم وکالظلال نظر الی الخلق نظرة رحیم
علیهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس وتعجب منهم فی قناعتهم بالظلال واتخاذهم
بعالم الغرور وعالم الخیال فیکون معهم حاضر الشخصه غایبا بقلبه متعجبا منهم ومن حضورهم
ویتعجبون هم من غیبته فهذه ثمرة لباب الذکر وانما مبدأها ذکر اللسان ثم ذکر
القلب تکلفا ثم ذکر القلب طبعا ثم استیلاء المذکور والمحا الذکر وهذا سر قوله صلی الله علیه وسلم
من احب ان یرتع فی ریاض الجنة فلیکثر ذکر الله عز وجل بل سر قوله یفضل الذکر علی الذکر
الذی تسمعه الحفظة ضعفا واعلم ان کل ذکر یشعر به قلبک تسمعه الحفظة فان

سلطان بکه لامیر
وزید علیه عارات

ویغیب عنه جمیع ذلک ذاهبا الی ربه او قائما ذاهبا فیه آخر او ان خطر له فی اثناء ذلک انه فنی
عن نفسه بالکلیة فذلک شوب وکدورة بل الکمال فی ان یفنی عن نفسه ویبقی عن الفناء ایضا
فان الفناء عن الفناء غایة وهذا قد یظنه الفقیه الرسمی انه طامات غیر معقولة
ولیس کذلک بل هذه الحالة تلم بالاضافة الی محبوب هم کحالتک فی کثیر الاحوال بالاضافة الی محبوبک
من جاه او مال او معشوق فانک قد تکون مستغرقا لشدة الغضب بالفکر فی معشوقک حتی لا یکون
فیک متسع لشیء اصلا فتخاطب فلانا فلم تفهم وتحدث بین یدیک غیرک فلا تراه وتعیا ک
مفتوحان وتتکلم عندک فلا تسمع وما باذنیک صمم وانت فی هذه الاستغراق غافل عن
کل شیء وعن الاستغراق ایضا فان الملتفت الی الاستغراق فی الله فرض عن المستغرق به والما
سموا هذه الحالة فناء وان کان الشخص والظل باقیا لان الاشخاص والاظلال بالسایر
المحسوسات لیس لها حقیقة الوجود بل الوجود الحقیقی لعالم الامر والملکوت والقلب من عالم
الامر قال الله سبحانه قل الروح من امر ربی والقلب من عالم الخلق واعنی بالقلب اللطیفة الذاکرة
العارفة التی هی مهبط الانوار الالهیة دون القلب الظاهر فان ذلک من عوالم الخلق فلا تتوهم من
هذا اشارة الی قدم الروح وحدوث القالب بل هما جمیعا حادثان واما اعنی بالخلق ما یقع علیه
المساحة والتقدیر وهی الاجسام وصفاتها واعنی بعالم الامر ما لا یتطرق الیه التقدیر
والعالم الجسمانی لیس له وجود حقیقی بل هو من ذلک العالم کالظل من الاجسام ولیس
لظل الانسان حقیقة الانسان ولیس للشخص حقیقة الوجود بل هو ظل الحقیقة والکل من
صنع الله تعالی ولله یسجد من فی السموات والارض طوعا وکرها وظلالهم بالغدو والاصال وسجود

الفناء ح

ای قاعدات الصلوة

علم

عالم الامر طوع بنانه ویسجد الظلال کرها وتحته سر بالاسرار یتحرک اوایلها سلسلة الجانین
الجمع فضلا او اخرها فلنتجاوزها فقد اتممنا کما اردوه بالفناء فدع عنک الغیبة
والتکذیب بما لم تحط بعلمه وقال تعالی وانما یهتدون به فسیقولون هذا افک قدیم فاذا
فهمت الفناء فی المذکور فاعلم انه اقرب الطریق وهو الذهاب الی الله عز وجل وانما الهدی
بعد اعنی بالذکر بعد الذکر کما قال الخلیل صلوات الله علیه انی ذاهب الی ربی سیهدین فاول الامر
ذهاب الی الاسم ثم ذهاب فی اسم وذلک هو الفناء والاستغراق به ولکن هذا الاستغراق اولا
یکون کبرق خاطف قلما یثبت ویدوم فان دام ذلک صارت عادة راسخة وهیئة ثابتة عرج
به الی عالم العلی وطالع الوجوه الحقیقی الاصفی وانطبع له نقش الملکوت وتجلی له قدس الاهوت
واقل ما یتمثل له منه لکل العلم جواهر الملایکة وارواح الانبیاء والاولیاء فی صورة جمیلة
یفیض الیه بواسطتها بعض الحقایق مذکر فی البدایة الی ان تعلو درجته عن المثال ویکلم
بصریح الحق فکل شیء فاذا رد الی هذا العالم الجسمانی الذمیم وکالظلال نظر الی الخلق نظرة رحیم
علیهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس وتعجب منهم فی قناعتهم بالظلال واتخاذهم
بعالم الغرور وعالم الخیال فیکون معهم حاضر الشخصه غایبا بقلبه متعجبا منهم ومن حضورهم
ویتعجبون هم من غیبته فهذه ثمرة لباب الذکر وانما مبدأها ذکر اللسان ثم ذکر
القلب تکلفا ثم ذکر القلب طبعا ثم استیلاء المذکور والمحا الذکر وهذا سر قوله صلی الله علیه وسلم
من احب ان یرتع فی ریاض الجنة فلیکثر ذکر الله عز وجل بل سر قوله یفضل الذکر علی الذکر
الذی تسمعه الحفظة ضعفا واعلم ان کل ذکر یشعر به قلبک تسمعه الحفظة فان

شعورك ثم يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك
عن المذكور بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة وما دام القلب يشعر بالذكر
ويلتفت اليه فهو معرض عن الله وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير مستغرقا بالواحد
الحق فذلك هو التوحيد وكذلك اقول في المعرفة فقد قال بالثاني ومن وجدها
لكنك ان اردت بها بعد المعرفة بها نهاية الذي امكن من حقيقة الوصال وحل بحضرة حضرة
القدس فان قلت فلم اختصت هذه الكمالات بحال الفناء فاعلم ان هذه قصة
يطول فيها نظر الناظر وذلك اذا تأملت لم يقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض
النفس وشهواتها حاجبة الى هذا العالم المحسوس وهو عالم الزور والغرور واذا كان ينكشف
صرح الحق بالموت لبطلان سلطان الحواس والخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفل
فان قصر عنك سلطان الحواس بالنوم طلعت بشئ من الغيب على قدر استعدادك
وقبولك وهمتك ولكن مثال يحتاج الى التعبير وما عندي انك لم تصادف من نفسك
رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل لكن الخيال لا يفتر في النوم وان ركدت
الحواس فلذلك يضعف الاطلاع والخلو من شوب المثال واما الفناء فعبارة عن حالة
تركد فيها الحواس ولا تشتغل ويكمن فيها الخيال ولا يشوش فان بقيت في الخيال بقية ما فلن يتم
توثر الاني محاكاة يتجلى من عالم القدس حتى تتمثل الانبياء والملائكة والارواح المقدسة
في قوالب الخيال فهذه امور نبهت عليها لتكون متشوقا الى ان تصير من اهل الذوق وطعمها
فان لم تكن من اهل العلم بها فان لم تكن فمن اهل الايمان بها ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين

اوتوا العلم درجات واياك ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند
سكرات الموت الذي كنت منه تحيل وقيل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم ان الايمان والعلم والذوق ثلث درجات
متباعدة فان الاحنين مثلا يتصور ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان يقبل
ذلك ممن يحسن ظنه به ولا يتهمه بالكذب وذلك ايمان ويتصور ان يعلم
بالبرهان وجوده لغيره وهو علم وما اخذه قياس ان ينظر الى شهوته للطعام
مثلا فيقيس بها شهوة الجماع وكل ذلك بعيد عن ادراك حقيقة الشهوة بوجودها له عينا
وكذلك المريض المدنف يعرفه العالم الصحيح ويوصف به ويعرفه الطبيب الصحيح
بالبرهان وهو علم ومن لم يمرض مريضا لم يحصل له الذوق فكذلك القول في الفناء في التوحيد
فالذوق مشاهدة والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة فاجتهد
ان تصير من اهل المشاهدة فليس الخبر كالمعاينة فان قلت فقد عظمت امر الذكر فهو
افضل ام قراءة القرآن فاعلم ان قراءة القرآن افضل المخلوقات كلهم الا للذاهب الى الله
عز وجل وهو افضل الذاهب الى الله عز وجل في جميع احواله بدايته وفي بعض احواله في نهايته
فان القرآن مشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد الى الطريق فما دام العبد
مفتقرا مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن اولى به فان جاوز ذلك
واستولى الذكر على قلبه بحيث يرجى له ان يفضي به ذكره الى الاستغراق فمداومة الذكر
اولى به فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والمريد الذاهب الى الله تعالى

لا ينبغي ان يلتفت الى الجنة ورياضها بل ينبغي ان يجعل همّه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا
حتى يصل درجة الفناء والاستغراق والذكر قال الله عز وجل والذكر الله اكبر وكذلك من ينتهي الى
درجة الاستغراق قد لا يدوم ولا يثبت عليه فاذا ردّ الى نفسه فقد ينفعه تلاوة القرآن
وهذه حالة نادرة عزيزة كالكبريت الاحمر يتحدث به ولا يوجد فتكون تلاوة القرآن
افضل مطلقا لانه افضل في كل حال الا في حال من شغله المتكلم عن الكلام اذ لباب القرآن
معرفة المتكلم بالقرآن ومعرفة جماله والاستغراق به والقرآن يسابق اليه وهاد نحوه ومن
اشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق فان قلت فاي الاذكار افضل فاعلم ان الافضل
كما ذكرناه من استيلاء المذكور على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى يختار افضله
وذلك عين الجمع والتوحيد وانما التفرقة والكثرة قبل ذلك ما دمت في مقام الذكر باللسان
والقلب عند هذا قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل وفضله بحسب الصفات التي
التي يعبّر عنها بالاذكار والصفات الاسماء الواردة في الله سبحانه تنقسم الى ما هو حقيقة
في حق العباد ما هو لة في حقه سبحانه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم والى ما هو حقيقة
سبحانه في حقه وان استعمل في حق غيره كان مجازا فمن اكبر الاذكار لا اله الا الله الحي القيوم
فان فيه اسم الله الاعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في اية الكرسي واول آل عمران
والايات تكاد الاني هذا اولم سرّ يزلق عن فهمك ذكره والقدر الذي يمكن الرمز اليه ان
قولك لا اله الا الله يشعر بالتوحيد ومعنى الوحدانية في الذات والرتبة حقيقي في حق الله
عز وجل غير ما هو لغيره مجاز وما هو لك وكذلك الحي فان الحي هو الذي يتأتى منه بذاته وعلمه

ذاته والميت هو الذي لا خبر له من ذاته وهذا ايضا حقيقي لله والقيوم يشعر بكونه قائما
بذاته وان كل شيء قوامه به وهذا ايضا حقيقي له عز وجل ولا يوجد لغيره وما عداها من الاسماء
الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو مما يدل على الصفات لان مصادر
الافعال هي الصفات والصفات اصل والافعال تبع وما عداها من الصفات التي تدل
على القدرة والعلم والارادة والكلام والسمع والبصر فذكر ما يظن ان الثابت منها لله عز وجل
مفهوم ظواهرها وهيهات فان المفهوم من ظواهرها امور تناسب صفات الانسان
وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه وبصره بل لها حقايق تستحيل ثبوتها للانسان فتخرج
من هذه الاسامي بنوع من التأويل فهذا ينبغي ان يتنبه له عاما بحسبه فهمك من اختصاص هذه
الكلمات بكونها اعظم ويقرب منه قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لان سبحان
الله تقديس وهو حقيقي في حقه فان القدوس الحقيقي لا يتصور الا له تعالى فقولك الحمد لله
يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي ايضا المتفرد بالافعال كلها تفرد احقيقيا
بلا تاويل وهو تبارك وتعالى المستوجب للحمد وحده اذ لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق
الحمد عند حسن الخط واعلم ان كل من سواه ممن ترى منه نعمة هو مسخر له
كالقلم فهذا مثال ينبتهك على تفرده باستحقاق الحمد وقولك لا اله الا الله فقد عرفت انه
التوحيد الحقيقي وقولك الله اكبر فليس المعنى به انه اكبر من غيره اذ ليس معه سبحانه غيره يقال
اكبر منه بل الكل منه بل كل ما سواه فهو نور من انوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس
رتبة العينية حتى يقال انها اكبر منه التبعية بل معناه انه عز وجل اكبر من ان ينال بالحس او يدرك

جلاله بالعقل والقياس بل الاكبر من ان يدرك كنه جلاله غيره من ان يعرفه غيره فانه لا
يعرف فانه لا يعرف الله تبارك وتعالى الا الله فان منتهى معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل
منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك ايضا بكماله الا نبي او صديق اما النبي فيعرفه عند
ويقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واما الصديق فيقول العجز عن درك
الادراك ادراك وان تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستكثرت قولي لا يعرف الله الا الله
فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى
ويكفيك الآن هذا القدر من الرمز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار من هذا الاصل

السابع في طلب الحلال قال الله سبحانه كلوا من الطيبات واعملوا صالحا والحرام
خبيث والطيب فقد قرن عز وجل اكل الطيبات بالعبادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلب الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضة اي بعد فريضة الايمان والصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي
رواية اخرى زهده الله في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس
ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل والصرف النافلة والعدل
الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم
يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شيء وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا
وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل الله ذلك منكم الا بورع حاجز وقيل الاجابة مع
اكل الحرام كالبنيان على الرمل **فصل** اعلم ان طيب المطعم له خاصية

عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتاكيد استعداده لقبول انوار المعرفة وفيه
سر لا يحتمل هذا الكتاب ذكره ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع اربع الدرجة
الاولى التي يجب الفسق باقتحامها وتزول العدالة بزوالها وهي التي يحترز منها فتوى
الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق اليه احتمال التحريم
وان افتى المفتي بحله بناء على الظاهر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك الثالثة ورع المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يترك ما لا باس به حذارا من الوقوع فيما به باس وقال رضي الله عنه كنا ندع تسعة
اعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام ومن هذا الاصل كان بعضهم اذا استحق
مائة درهم اقتصر على تسعة وتسعين ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار
لخوف الزيادة وكان بعضهم ياخذ ما ياخذ بنقصان حبة ويعطي ما يعطي بزيادة حبة
وانكر اخ عمر بن عبد العزيز انه حذر امين مدرج المسك لبيت كان يوزن بين يديه
وقال هل ينتفع الا بريحه ومن ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان
تغلب النفس فتدعوه الى الشهوات المحظورة ومن ذلك ان يترك النظر الى تجمل اهل الدنيا
فانه يحرك دواعي الرغبة في الدنيا وانكر قال الله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وانكر قال عيسى بن مريم عليه السلام لا تنظروا الى اموال
اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب حلاوة ايمانكم وانكر قال السلف من رق ثوبه
رق دينه فالحلال المطلق الطيب كل حلال انفك من هذه المخافة ولم يوجد فيها الا بعة

ورع الصديقين وهو الحذر عن كل ما يُراد بتناوله القوة على طاعة الله تعالى اذا كان قد
يتطرق الى بعض اسبابها معصية فمن ذلك ما حكي ان ذا النون المصري رحمه الله محبوسا
جايعا فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب طعامها طعاما على يد السجان فلما ايأكل منه
واعتذر انه جاءني على طبق ظالم اى بيد السجان ومن ذلك ان بشرا الحافي كان لا يشرب الماء
من الانهار التي حفرها السلاطين واطلع بعضهم سراجا اشتعله غلامه من بيت ظالم وشرب
بعضهم دواء فاشارت عليه امرأته بالشيء والترديد فقال هذه مشتبهة لا اعرف لها
وجها وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي وهذه رتبة اقوام وفقوا بقوله تعالى الله ثم رسله
فحذر الاكل ما لم يكن لله تعالى حراما وليس هذا من غش وغش ناصح فادرج واجتهد ان
تنجو بورع العدول الذي ينتفي به الفقهاء ثم ينبغي ان تضيف اليه شيئين احدهما ان تحذر عن
مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم من وهب في آخر السنة ما لم يزد وجد واستوهب منها
ما لها سقطت الزكوة عنها فانهم ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهم بالزكوة لان مطمح
نظر ظاهر الملك فهو صدق ودرجة الفقهاء وقولهم ذكر ما يتعلق بالظواهر فيحكمون بالبراءة
عن الزكوة اذا سقط طلب الساعي ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بحريان
صورة الصلوة اذ ليس بايديهم من القوانين الا القانون الذي يستعمله السلطان في السياسة
لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي هي منزل من منازل الطريق كما قال واما انت اذا كنت تنظر
فيما ذا ينفعك غدا عند جبار من الجبابرة وسلطان السلاطين فلا تلتفت الى هذا واعلم
ان مقصود الزكوة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث

مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وهيئة مال الزكوة الاجل
دفع الزكوة تجعل الشح مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته الى ما يقتضيه وقبل
هذا لم يكن فلينفق الرجل منجيا وكذلك من يسئ معاشرة زوجته حتى تثقل له من المهر فلا
تحل له بينه وبين الله عز وجل وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى
قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وليس هذا طيبة النفس بل طيبة القلب والفقيه
لا يميز بين الامرين لان شغفهم بقطع الخصومات الظاهرة والجامة وترك الدواء
الشنيع لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب وكذلك ترضايا باه الطبع ويديده
العقل لمصلحة في البدن في العاقبة وهذا باب طويل وجملة ان لا تستحل مال غيرك
الا برضى مطلق صاف وينبغي الا تاكل من الشوابل فان سألت فاحذر ان تسيل
على الملا فرعا يعطى بالحياء وذلك ليس مقرونا فان الذي يوثر الم ان الله الملك
على الم الحياء ولا فرق بين ان تاخذ ماله بضرب ظاهر بالسوط وبين ان تاخذه
بضرب باطنه بسوط الحياء فالكل مصادرة واحذر ايضا ان يعطيك بالدين وذلك
بان يعطيك لظنه ورع تقيا فتاكل بالدين ويكون من شرط حله ان لا يكون في
باطنك ما لو اطلع عليه المعطي لامتنع من الاعطاء فلا فرق بين من ياخذ بالتصوف
والتقوى وليس هو متصفا به باطنا وبين من يزعم انه يرائي ليعطى ومن كاذب
وكذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر الفن الثاني
ان تراجع قلبك وان افتوك فان الاثم حواز القلوب فالذي يضرك هو ما حاك في قلبك

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وهذا سر طويل فكره ولكن اعلم على
الجملة أن الحديد من الحرام أظلم القلب والمطلوب من الحلال تنويره وذلك يتشعب
من اعتقاد كلا من نفس المعتقد فمن وطئ امرأة عاطن أنها أجنبية فإذا هي منكوحته
حصل أظلم القلب ولو وطئ أجنبية عاطن أنها زوجته لم تحصل وكذلك في النجاسات
والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهكذا واعتقادك فيها بأن تصلي وثوبك طاهر بل أن تصلي
وأنت تعتقد أنه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في إشراق القلب وإن لم يكن على وفق
الحال ولذلك تقول أن من صلى ثم تذكر أنه كان معه نجاسة فليس عليه على الأصح لأنه صلى الله
عليه وسلم خلع نعليه في أثناء صلاته لما أخبره جبريل عليه السلام بأن عليها قذرا واستمر فيها
ولذلك يشتد الأمر على الموسوس فإنه مادام يطمئن قلبه باعتقاد الطهارة فيجب عليه
الاستقصاء والمجاهدة وأولئك قوم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فهلكوا
باستقصائهم كما قال عليه السلام هلك المتنطعون فكذلك في الحلال أنت متعبد بما يطمئن
إليه قلبك لا بما يفتي المفتي فاستفت قلبك فصل أيا كان تشدد على نفسك فتقول أموال
الدنيا كلها حرام وقد اجتنبها الأيدي العادية والمعاملات الفاسدة فاقنع بالحشيش
مذهبا أو تناول من الجميع متوسعا الأفضل فيه بين حلال وحرام بل الأعلم قطعا أن الحلال
بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات كذلك كان عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك يكون
أبدا الدهر فاستمد من السر الذي ذكرناه فإنك غير متعبد بما وقع نفسه حلال لا تعرف
سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضأ

عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية ولو عطشوا لشربوا منه وشرب الماء النجس حرام ولكن
استصحبوا يقين الطهارة ولم يتركوها لتوهم النجاسة وكذلك كل مال صادفته في يد رجل
مجهول عندك حاله فلك أن تشتري منه وتأكل من ضيافته تحسينا للظن بالمسلم فإن
الأصل اتقاء يده فهو حلال وما تصادفه في يد رجل عرفته بالصلاح فهو أولى بأن تعتقده
حلالا نعم يجب الحذر مما تصادفه في يد سلطان ظالم أو رجل عرفته بالربا أو بيع الخمر
يجب الحذر منه حتى تسأل وتستقصي وتعرف أنه من أين حصل له فإن ظهر لك جهة
حصوله وأنه حلال فلك الأخذ وإلا فالاعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله
وهذا إذا كان أكثر أمواله كذلك فإن كان أكثر ماله حلالا فلك أن تأكل منه فإن تركته فذلك ورع
فقد كتب بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة إليه يسأله عن معاملة الرجل يعامل
السلطان فقال إن كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله وإن كان يعامل غيره
أيضا فعامله وبالجملة الناس في حقك ستة أقسام أحدها أن يكون مجهولا
فكل من ماله والحذر ليس بواجب بل هو محض الورع الثاني أن تعرفه بالصلاح
فكل منه ولا تتورع فالورع فيه وسوسة فإن أدى إلى الإيذاء والإيحاش فهو معصية
وحرام لما فيه من الإيذاء ولما فيه من سوء الظن بالرجل الصالح **الثالث** أن تعرفه
بالظلم والربا وعلمت أن كل ماله أو أكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فمالهم
حرام **الرابع** أن تعرف أن أكثر أمواله حلال ولكن لا يخلو عن حرام كرجل له تجارة
وميراث وهو مع هذا في عمل السلطان فذكر الأخذ بالغلبة لكن الترك من الورع

وهو ذاك

المهم **الخامس** ان يكون مجهولا عنده لكن يرى عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة
وهيئة الاكل والظلمة فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تاكل من ماله الا بعد
التفتيش **السادس** ان ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب
وانقلام شعر الراس قزعا او رائحة خمر او يتعرى او ينظر الى امراة فان علمت له
مالا موروثا او تجارة لم تحرم ماله بذلك وان كان امره مجهولا عنده فهذا فيه نظر لان
علامة الفسق اضعف دلالة من علامة الظلم ولكن الحظر عندي انه لا يحرم ماله لان ظاهر
اليد الاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من دلالة هذه العلامة على التحريم وليت
هذه الدلالة اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على نجاسة الماء ولم يلتفت اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر رضي الله عنه اما علامة الظلم فيقضي ما اذا رايناه ظبية
تبول في ماء ثم وجدنا الماء متغيرا امكن ان يكون من طول المكث وامكن ان يكون من البول
فانه يجب اجتنابه احالة على السبب الظاهر ثم وراء ذلك مله عليه ان يستفتي قلبه فاذا
وجد في قلبه حزازة فليجتنبه فالاثم جواز اثاث القلوب وخواتات الصدور ويكفيك
هاهنا دقيقة يغفل عنها اهل الورع وهي انه حيث يكون الترك من الورع او من حزازة
في النفس فلا يجوز الترك والسؤال حيث يؤدي فالمجهول اذا اقدم اليك طعاما فان
سالته انه من اين استحق ونا ذي والايذاء حرام وسوء الظن حرام وان سالت عنه
حيث يدري ذا الايذاء يدري ذا الايذاء وان سالت حيث لا يدري فقد تجسست
واسات الظن ببعض الناس ثم وتساهلت بالغيبة والنميمة وكل ذلك حرام وترك الورع

ليس بحرام فليس لك الا التلطف بالترك فان لم يكن الا بايذاء فعليك ان تاكل فان طيبة
قلب المسلم وصيانته عن الاذى من الورع فاياك ان تكون من القراء المغرورين الذين
لا يدركون دقايق الورع واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل من صدقة بريرة
ولم يسال عن المتصدق وكان صلى الله عليه وسلم تحمل اليه الهدايا ولا ياكل ثم ساء راي في اقوام قدموه
الى المدينة عما حمل اليهم هل هو هدية او صدقة لان ذلك ليس فيه ايذاء ولا قرينة
الحال كانت تقتضي الامكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة وكان صلى الله عليه وسلم يدعى
الى الضيافات فيجيب ولا يسال ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة فان قلت فان
وقع طعام حرام في سوق فهل يترك من ذلك السوق فاقول ان تحققت ان الحرام
هو الاكثر فلا تشتر الا بعد التفتيش وان علمت ان الحرام هو الاكثر كثير وليس بالاكثر
فلك الشراء والتفتيش من الورع ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم
ليشترون في اسفارهم من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب واهل الغلول
في الغنيمة وكانوا لا يتركون المعاملة معهم وهذا الباب يتسع شعاطويلا فان رغبت
فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب احياء لتشهد عند مطالعته بانه لم يصنف
في فنه مثله في التحقيق والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل

الاصل الثامن

في القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وهو ركن من اركان الدين
اذ الدين عبارة عن السفر الى الله عز وجل ومن اركان السفر حسن الصحبة في منازل
السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسيرهم العمر سيرا السفينة بهم الى لجتها

واعلم ان الانسان يكون في الدنيا وحده او يكون مع خواصه من اهل وولد وقريب
وجار او يكون مع عموم الخلق وهذه ثلثة احوال وعليه حسن الصحبة واداء الحقوق
في جميع هذه الاحوال الحالة الاولى ان يكون وحده وليعلم انه بنفسه عالم وان باطنه يشتمل
على اصناف من الخلق المختلفي الطباع والاخلاق فان لم تحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلاكه
واصناف جنود الباطن كثيرة ولا يعلم جنود ربك الا هو وقد استقصينا بعض ذلك في كتاب
عجايب القلب ونذكر الآن امر الجنود ورئيسها فنقول فيك شهوة تجذب بها الى نفسك
النافع وغضب تدفع به عن نفسك الضار وعقل تدبر به الامور وترعى به الرعية
فانت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس مثلا وباعتبار عقلك
ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقصر لتقتنص
بمعونتهم سعادة الابد فان رضت الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك تيسر
لك الظفر بما طلبت وان سخرت العقل في استنباط الحيل لتحصيل ما يقتضاه
الكلب بغضبه والفرس بحرصه وجمحه اوقعت على العطب فضلا عن ادراك
مقصود الطلب فصرت مغلوبا مقهورا هالكا اما الان الظلم وضع الشيء في غير موضعه
ولو رأيت شخصا جاهلا في طاعة ملك وكلب وخنزير فلم يزل يضطرب الملك الى ان
يسجد للخنزير والكلب ظهر تراه طالبا مستوجبا للعقوبة ولو كوشفت بحالك عند مناجاتك
او عند فنائك عن نفسك كما وصفناه في الاستقراء بالله لرأيت نفسك من اطاع شهوته
وغضبه ساجدا للكلب والخنزير اذ ما اكل الكلب كالصورة بل الجناية وكذلك ترى

نفسك بعد الموت لان المعاني في عالم الآخرة تتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة
يوازي معناه فيحشر المتكبرون في صور الذر يطؤهم من اقبل وادبر والمتواضعون
اعزاء واما هذا العالم فعالم التلبيس فقد يودع مع الخنزير والكلب في صورة انسان
فلا تغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر فعليك ان تحسن صحبة رفقايك الثلثة
فتكسر شره الشهوة بسطوة الغضب وتقلل من غلواء الغضب بخلاع الشهوة وتسلط
احدهما على الآخر فان ذلك بليغ جدا في تقويم اخلاق النفس والعقل والشرع فيستعين بالعقل بحيث
ينتفع به كما يستعمل الصايد الفرس والكلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغناء ويشرح
هذه الرياضة والصيد طويل ذكرناه في كتاب رياضة النفس **الحالة الثانية**
صحبتك مع عموم الخلق فاقل درجات حسن الصحبة كف الاذى عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله وفوق ذلك ان تحتمل الاذى
منهم وحسن مع ذلك اليهم وذلك درجة الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ان
اردت ان تسبق الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك هذه
جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ونقتصد من جملتها على عشرين وظيفة
فمنها ان لا تحب للناس الا ما تحب لنفسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان
ان يزحزح عن النار فليأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وليأت الى الناس ويجب ان يؤتى اليه **ومنها** ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر

فان الله لا يحب كل مختال فخور وان تكبر عليه غيره فليحتمل قال الله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله اكرام ذي الشيبة
المسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يوقره
وهذا يشمله بطول الحياة مع الاجر ومنها ان يكون مع كافة الخلق متبشرا طلق الوجه
قال صلى الله عليه وسلم ألا ندلكم على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على
كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السمح المطلق ومنها اصلاح
ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة في الكلام قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح
بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة
والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة
ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض
قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقتات من نم اليك ثم عليك ومنها ان لا يزيد
في الهجرة عند الوحشة على ثلثة ايام قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق
ثلاث وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقال الله تعالى عثرته يوم القيامة
ومنها ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك او لم يكن قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف
الى من هو اهله فان لم تصب اهله فانت من اهله ومنها ان تخالق كل صنف باخلاقهم
ولا تلتمس من الجاهل والفتى ما يلتمس من الورع الحليم قال داود عليه السلام الهي

كيف

28

كيف لي ان تحسن الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله سبحانه اليه خالق اهل الدنيا باخلاق
الدنيا وخالق الآخرة باخلاق الآخرة ومنها ان ينزل الناس منازلهم فيزيد في اكرام ذي المنزلة
وان كانت منزلته في الدنيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم وقال اذا
جاءكم كريم قوم فاكرموه ومنها ان يستر عورات المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرى امرء من اخيه عورة فيستر عليها الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر
من امن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فان من تتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه
ولو في جوف بيته ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس من سوء
الظن وألسنتهم عن الغيبة قال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان انها زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت
اظن فيه فاني لا اظن فيه فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
ومنها ان يسعى في قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة قال صلى الله عليه وسلم اشفعوا
الى توجروا فلي الامر ما اراد فاخر عني ان اشفع الى فتوجروا وقال صلى الله عليه وسلم من مشى
في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خير له من اعتكاف
شهرين وقال صلى الله عليه وسلم قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكاف ستين سنة ومنها
ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه ليكون لك فضل البداية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا التقى المسلمان فتصافحا واستحت بينهما سبعون رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما

ان ينزل الناس منازلهم

بداءة ومنها ان ينصر اخاه في غيبته فيرد عن عرضه وماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم ينصر مسلما في موضع يستذل فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن
يحب فيه نصرته وما من احد يخذل مسلما في موضع يستذل فيه حرمته الا خذله الله
في موضع يحب نصرته ومنها ان يداري اهل الشر ليسلم منهم قالت عايشة رضي الله عنها
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا فبئس رجل العشيرة فلما دخل
الان له القول حتى ظننت ان له عندك منزلة فلما خرج راجعته في ذلك فقال يا عايشة
ان من اشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال
صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وقال صلى الله عليه وسلم خالطوا الناس بالسنتهم
وزايلوهم بالقلوب ومنها ان يحذر مجالسة الاغنياء ويكثر مجالسة المساكين
وقال صلى الله عليه وسلم اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان عليه السلام
اذا راى في المسجد مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقال موسى عليه السلام
الهي اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ومنها من حيث ان لا يجالس
الا من يفيده في الدين فايدة او من يستفيد منه فاما اهل الغفلة فيحذر منهم قال
صلى الله عليه وسلم الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة
فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة ينتقص من دينه بحكم جلسة شيء فليقدر ان كل واحد
منهم لو كان يأخذ منه في كل جلسة سلكا من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان

يحذره خيفة ان يصير على القرب امرد عاريا فالحذر لاجل الدين اولى ومنها
ان يعود مريضهم ويشيع جنايزهم ويزور قبورهم ويدعو لهم في الغيبة ويشمت
العاطس وينصح الناس من نفسه وينصح اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق
كثرت فيها الاخبار اثرنا فيها الاختصار وجملتها ان تعمل في حقهم ما تحب ان يعمل في حقك
من احسان واهتمام وكف اذى **الحالة الثالثة** الصحبة مع من يدلي بسوى عموم
الاسلام بخاصية كجوار او قرابة او ملك قال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيامة
جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا رميت كلب جارك فقد اذيته وقيل له صلى الله عليه وسلم ان
فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وتوذي الجيران فقال هي في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون
ما حق الجار ان استعانك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت
عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته
مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجر عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة
فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار
قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار
الا من رحمه الله واما القرابة فقد قال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا الرحمن
وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم
صلة الرحم تزيد في العمر وقال صلى الله عليه وسلم توجد رائحة الجنة على مسيرة خمسمائة عام ولا يجد
قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلوة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم بروا الوالدة على الوالد ضعفين وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين اولادكم
بالعطية واما المملوك فقد قال فيه صلى الله عليه اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون
واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان الله ملككم اياهم ولو
شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم اخاكم اخاكم مملوكه طعامكم فاطعموه حره وعلاجه
وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليناول لقمة فليروغها وليضعها في يده وليقل كل
هذه وسئل صلى الله عليه وسلم يا نعفو عن المملوك في اليوم والليلة قال سبعين مرة فحملة حق المملوك
ان يشترك في طعمه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ويعفو عن زلته ولا ينظر اليه بعين
الكبر والازدراء ويعلم انهم اخوانه في دينه واما حقوق المنكوحة فتزيد على هذا فيجب طاعة القيام
بواجباتها من العشرة والمطايبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا
خيركم لاهلي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من افكه الناس مع نسائه والاخبار في ذلك اكثر من
ان تحصى **وصل** من اصول الدين في امر الصحبة (الصحبة) واتخاذ الاخوان ان الله
عز وجل قال لبعض انبيائه اما زهدك في الدنيا فقد استعجلت الراحة واما انقطاعك
الي فقد تعززت بي فهل واليت في وليا وهل عاديت لي عدوا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله
يوم القيامة اين المتحابون لجلالي اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي واوحى الله سبحانه الى
عيسى ابن مريم عليه السلام لوائك عبدي حبا ذة اهل السموات والارض وحبني الله اليه
وبغضني الله ليس مما اني عنك ذلك شيئا وقال صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر من نور
عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور وليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء

فقال

فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله عز وجل
واعلم ان كل حب لا يتصور دوام الايمان بالله واليوم الآخر فهو حب في الله ولكنه على درجتين
احدهما ان تجتبه لتنال منه في الدنيا نصيبا يوصلك الى الآخرة كحبك استاذك وشيخك
ومعلمك الذي تتعلم منه علما او تتأدب بآدابه او خادمك الذي يفرغ قلبك عن كنس بيتك وغسل
ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى فكل منفق عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك
ان يفرغ القلب لعبادة الله تبارك وتعالى الثانية وهي العليا ان تحبه لانه محبوب عند الله عز وجل ومحب لله
لانه وان لم يتعلق به غرض لك في الدنيا والآخرة من علم او معونة على دين او غيره وهذا اجمل لان الحد في
الحب اذا غلب تعدى الى الكل من يراه من المحبوب بسبب حتى يحب الانسان محب محبوبه
بل يميز بين الكلب الذي في سكة محبوبه وبين سائر الكلاب وانما سر آية الحب بقدر
غلبة الحب ومن احب لقاء الله علم انه لا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم الآن
ذلك قد يقوى حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه وقد ينقص
عن ذلك فضلهم عنده يتقسم بقدر درجته وقوته وكذلك يبغض لا محالة من يعصي الله
ويخالف امره ويظهر اثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيبه الوجه عند مشاهدته
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تحل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي حذرا من ان يقدح
ذلك في البغض في الله وبالجملة من لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه
الاسباب فهو ضعيف الايمان وهذا له تحقيق وتفصيل فاطلبه من كتاب الصحبة
واللحوق في الله

الاصل التاسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

والنهي عن المنكر قال الله سبحانه ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر الاية وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الاية وقال تعالى كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته
ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتتأولونها على غير تأويلها يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم
عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده اه
وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الف
اعمالهم اعمال الانبياء قالوا يا رسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **وصل** كل من شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عليه
عمدا فهو شريك فيه فالمتمع شريك للمغتاب ويجري هذا في جميع المحاضر حتى في مجالسة من يلبس
الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على الحرير والجلوس في دار او في حمام عاحيطانها صور
او فيها اواني من ذهب او فضة او الجلوس في مسجد يسمع الناس الصلوة فيه فلا يتمون الركوع
والسجود والجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة او في مجلس مناظرة او مجادلة
يجري فيها الايذاء والاستهزاء بالمسلم واثم وبالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه
وان كان تقيا في نفسه الا ان يترك المداهنة ولات حين مناص لوما لام ويشغل بالحسبة
والمنع وانما يسقط عنه الوجوب بامرين احدهما ان يعلم انه ان انكر لم يلتفت اليه ولم يترك
المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب في منكرات تركها الفقهاء ومن زعم

انه من اهل الدين فيها هنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان اظهارا لشعار الدين ومنها
لم يقدر على غير الزجر باللسان ويجب ان يفارق فلكل مرض فليس يجوز مشاهدة المحصية
بالاختيار فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وان لم يشرب ومن جالس مخنثا او لابس
حريرا واكل ربا او حرام فهو فاسق فلنتكلم من موضحه والثاني ان يعلم انه يقدر على المنع
من المنكر بان يرى زجاجة فيها خمر فيريقها فيكسرها او يسلب آلة الملاهي من يد صاحبها
ويضربها على الارض ولكن يعلم انه يضرب او يصاب بمكروه فيها هنا يستحب الحسبة لا تحتم
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ولا يجب الا ان يكون المكروه الذي يصيبه له درجات كثيرة
يطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الامر بالمعروف من الاحياء وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب
الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله بالاستهلاك او في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح
في مروءته فاما الخوف في استيحاش المنكر عليه وخوف تعرض له باللسان وعداوته له او توهم
سخطه في المستقبل على ما يسوءه او يحول بينه وبين زيادة خير يتوقعها فكل ذلك موهومات
وامور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها **فصل** عمدة الحسبة شيآن احدهما
اللطف والرفق في البداية بالوعظ على سبيل التلطف على سبيل اللطف والترفق والاجمال ان دلالة
الصلاح فان ذكر بوعد داعية المحصية وحمل الحامي على المناكدة وعلى الايذاء ثم اذا
اذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه وترك الانكار لله عز وجل واشتغل باستيفاء غليله منه
فيصير عاصيا بل ينبغي ان يكون كارها للحسبة يود لو ترك المحصية بقول غيره فانه اذا
احب ان يكون غير المتعرض كان ذلك لما في نفسه من حالة الاحتساب وعزته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعرض له

يعود لو تركها الفاعل المحصية

لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما
ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ العامة ووعظ الخاصة واعظ بعض فقال يا رجل ارفق
فقد بعثك الله منه وخيرك الى من هو شر منى فامره فقال كما قال له قولا ليّنا لعله يتذكر او
يخشى وروى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لى بالزنا فصاح الناس به
فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقروه ادن منى فدنا منه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال لا جعلنى الله فداك
قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اتحبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس لا يحبونه
لبناتهم حتى ذكر له الاخت والعمة والخالة ويقول عم كذلك الناس لا يحبونه ثم وضع يده على صدره
ثم قال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك شىء ابغض اليه من الزنا وقال
بعضهم للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال انما اخذ منهم الادون فقال
ثم خلابه وعاتبه بالرفق وقال يا ابا على ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين

العمدة الثانية

ان يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهذبها وتركها عما ينهى عنه اولا
قال الحسن البصرى اذا كنت تامر بالمعروف فكن من اخذ الناس به والا هلكت فهذا هو الاولى
حتى ينفع كلامه والا استهزى به وليس هذا شرطا بل يجوز الاحتساب على العاصى ايضا قال
ان قلنا يا رسول الله الا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال بلى
مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وقال الحسن البصرى يريد ان
لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو ان لا تامروا بالمعروف حتى تاتوا به كله يعنى
ان هذا يودى الى ان لا يسلم باب الحسبة من ذا الذى يسلم عن الخلق

اصل العاشر

فى اتباع السنة اعلم ان مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع
مصادره ومواردة وحركاته وسكناته حتى فى هيئة اكله وقيامه ونومه وكلامه ليست
اقوال خلق يؤدى به فى العبادات فقط لانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك
فى جميع امور العادات فبذلك تحصل الاتباع المطلق وقال الله سبحانه قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا فعليك ان تلبس السراويل قاعدا وتنعم قائما وتبتدى باليمين فى تنعلك
وتاكل بيمينك وتقلم اظفارك وتبتدى بمسبحة اليد اليمنى وتختم بابهامها وفى
الرجل تبتدى بخنصر اليمنى وتختم بخنصر اليسرى وكذلك جميع حركاتك وسكناتك
فقد كان محمد بن اسلم لا يا كل البطيخ لانه لم ينقل اليه كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسها بعضهم فابتدا فى لبس الخف باليسرى فكفر عن ذلك بخطية فلا ينبغى ان تتساهل
فى امثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات فلا معنى للاتباع فيه لان ذلك يخلق
عنك بابا عظيما من ابواب السعادة **فصل** لعلك تستهين الآن الوقوف
على اسباب المرغب فى الاتباع فى هذه الافعال وتستبعد ان يكون تحت ذلك امر مهم يقتضى
هذا التشديد العظيم فى المخالفة فاعلم ان ذكر السر فى آحاد ذلك يطول لا يحتمل هذا
الكتاب شرحه لكن ينبغى ان ذلك ينحصر فى ثلثة انواع من الاسرار الاول انا نبهناك
فى مواضع على العلاقة التى بين الملك والملكوت وبين الجوارح والقلب وكيفية تاثر القلب بعمل الجوارح
وان القلب كالمراة لا تتجلى فيه حقايق الاشياء الا بتصقيله وتنويره اما تصقيله

فبان له خبث الشهوات وكدورة الاخلاق الذميمة واما تنويره فبانوار الذكر والمعرفة
ويعين على ذلك قلب العبادة الخالصة اذا ادّيت على كمال الحشمة بمقتضى السنة واما تعديله
فبان يجري في جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ لا يصل الها الى القلب حتى يقصد
تعديله وتحدث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها وانما التصرف في القلب بواسطة
تعديل الجوارح وتعديل حركاتها ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة ولهذا تعظم حسنة من مات
قبل التعديل لانسداد طريق التعديل بالموت اذ تنقطع علاقة القلب عن الجوارح فمهما كانت
حركات الجوارح بل حركات الخواطر ايضا موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة
مستوية تستعد لقبول الحقايق على ما نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة
المعتدلة لحجامة الصور الصحيحة من غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء مواضعها
ومثاله ان الجهات مثلا اربع قد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل ان تستقبل
في احوال الذكر والعبادة والوضوء ان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا
لفضل ما ظهر فضله ولليمين زيادة على اليسار غالبا لفضل القوة فالعدل ان تفضلها
على اليسار وتستعملها في بعض الاعمال الشريفة كاخذ المصاحف والطعام وتترك اليسار للاستنجاء
وتناول القاذورات وقلم الاظفار مثلا تطهيرا لليد فمهما اكرمت فينبغي ان تبدأ بالاكرم والافضل
وربما لا يستقل عقلك بالتفطن للترتيب في ذلك وكيفية البداية فاتبع فيه السنة وابتدئ بالمسبحة
من اليمنى لان اليد افضل من الرجل واليمنى افضل من اليسرى والمسبحة الى جنبها الاشارة في كلمة التوحيد
افضل من سائر الاصابع ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة والكف ظهرا ووجها فوجهه ما يقابله فاذا جعلت
وظهر الكف من جهة ما يقابله

الكف وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فقد اليدين متقابلتين بوجهيهما وقد الاصابع
كانها اشخاص فتدور بالقراض من المسبحة الى ان تختم بابهام اليمنى كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحكمة فيه ما ذكرناه واذا انت تعودت رعاية العدل في قوانين الحركات صارت العدالة
والصحة هيئة راسخة في قلبك واستحى صورها وبذلك تستعد لقبول صورة السعادة
ولذلك قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فروح الله عز وجل مفتاح ابواب ولم يكن نفخها
نفخها الا بعد التسوية ومعنى التسوية يرجع الى التعديل وفي ذكر شرح طويل بطول شرحه وانما
نريد الرمز الى اصله فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته فالتجربة تفيدك فانظر الى من تعود
الصدق كيف يصدق رؤياه غالبا لان الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة يتلقاه النور
النور في النوم على الصحة وانظر كيف يكذب رؤيا الكذاب بل رؤيا الشرير لتوجه التخيلات
الكاذبة فلعوج لذلك صورة عليه فان كنت تريد ان تلمح جنات القدس فاترك ظاهر
الاثم وباطنه واترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن واترك الكذب حتى في حديث النفس ايضا
السر الثاني ان تعلم ان الاشياء المؤثرة في بدنك بعضها انما يحصل تاثيرها بنوع
من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرورين
وينفع البارد من مزاجه ومنها ما لا يدرك بالقياس ويعتبر عنه بالخواص وتلك الخواص
يوقف عليها بالقياس بل مبدأ الوقوف عليها وحي او الهام فالمغناطيس يجذب
الحديد والسقمونيا تجذب خلط الصفراء من اعماق العروق لا على القياس بل لخاصية
وقف عليها اما بالالهام او بالتجربة واكثر الخواص عرفت بالالهام واكثر التاثيرات في الادوية

وغيرها من قبيل الخواص فكذلك فاعلم ان تاثيرات الاعمال في القلب تنقسم الى ما يفهم وجه مناسبته لعلمك
بان اتباع الشهوة الدنيوية يوكد علاقة مع هذا العالم فيخرج من العالم المملوس الرأس مولياً
وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه وكعلمك ان المداومة على ذكر الله تعالى توكد الانس بالله سبحانه
وتوجب الحب حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه فاللذة على قدر
الحب والحب على قدر المعرفة والذكر ومن الاعمال ما يوثر في الاستعداد لسعادة الآخرة او لشقاوتها
بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنور النبوة فاذا رايت النبي صلى الله عليه وسلم قد عدل
من احد المباحين الى الآخر واثر عليه مع قدرته عليهما فاعلم انه اطلع بنور النبوة على خاصية
فيه وكوشف به من عالم الملكوت كما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله امرني ان اعلمكم مما علمني
واياكم مما ادبني فلا يكثرن احدكم الكلام عند الجماعة فانه يكون منه التصميم ولا يدعن احدكم الكلب
ولا يقلن احدكم امر الله اذا امر جامعها فانه يكون منه الصمم الولد ولا يدعن احدكم النظر
فعلما فانه يكون منه ذهاب الحمل وهذا مثال مما ذكرناه واردنا تنبيهك على اطلاعه على خواص
الاشياء بالاضافة الى امور الدنيا لتقيس به اطلاعه عليهم على ما يوثر بالخاصية في السعادة
والشقاوة فلا ترض لنفسك ان تصدق محمد بن زكريا الرازي المطبب فيما يذكره من خواص
الاشياء في الحجامة والاحجار والادوية ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه
فيما يخبر به عنها وانت تعلم انه صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا

السر الثالث

في التنبيه على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه في السر الاول

اعلم ان سعادة الانسان في ان يتشبه بالملائكة في التروح عن الشهوات وكسر النفس الامارة بالسوء

وبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي تسترسل في اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه طبعها
من غير حاجز وبما تحوز الانسان في صحيح الامور ان يفعل الاتباع مراده ومراده وغلب
على قلبه صفة البهيمة فمصلحته ان يكون في جميع حركاته ملجما بلجام يصده عن طريق الى طريق
كيلا تنسى نفسه العبودية ولزوم الصراط المستقيم فيكون اثر العبودية ظاهرا عليه في كل
حركة اذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه بل بحسب الامر فلا يتغفل في جميع احواله في مضاد مات
الزمان عن ايثار بعض الامور على بعض ومن التي زمامه الى يد كلب مثلا حتم لكن تردده
بحكم طبعه بل بحكم طبع غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية واقوى ممن جعل زمامه
في يد هواه ويسترسل بها استرسال البهيمة وتحت هذا سر عظيم في تزكية النفس وهذه فايدة
تحصل بوضع الشارع صلى الله عليه وسلم كيف ما وضعه والفايدة الحكمية والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا
يتغير بالوضع فان المقصود ان يكون مخليا مع اختياره وذلك يحصل المقصود بالمنع
عن احد الجانبين اي جانب كان وفي مثل هذا يتصور ان تختلف الشرايع لان ثمرة الوضع
فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات

فصل

هذا التحريض كله الذي ذكرته انما هو في العبادات واما في العادات فلا اعرض
لترك السنة من غير عذر وجها الا كف اخفيا او حتى اجليا بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال تفضل
صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فكيف تسمح نفس المؤمن بتركها من غير عذر
نعم يكون السبب فيه اما حمق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت العظيم ومن يستحق
بعبادة غيره اذا اثر واحدا على اثنين كيف لا يستحي نفسه اذا اثر واحدا على سبع وعشرين

لاسيما فيها هو عماد الدين ومفتاح الاستعادة الابدية واما الكفر فهو ان تخطر ببالك ان

هذا ليس كذلك واما ذكره للترغيب في الجماعة والاتفاق فمناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد

الخصوص وبين سائر الاعداد وهل الكفر الخفي قد ينطوي عليه الصدر وصاحبه لا يشعر

به فما اعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب في امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي المؤيد

باسرار الملكوت فان المنجم اذا قال لك اذا انقضى سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالع

اصابتك نكبة فاحترز في ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تترك تلك المدة تشتري وتبيع

جميع اشغالك ولو سألت المنجم عن سببه لقال لك انما قلت ذلك لان بين درجة الطالع

وموضع زحل سبعا وعشرين درجة فتسافر الزهرة في كل درجة يوما او شهرا فاذا قابل الكل

هذا هوس اذ لا مناسبة له فلا تصدقن به فلا تخلوا قلوبكم عن الاستبصار وتقوى في افعال الله

تعالى عجايب لا تعرف مناسبتها ولعلها خواص لا يدرك وقد عرف بالتجربة ان ذلك مما يؤثر

وان لم يعرف مناسبته ثم اذا كل الامر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذا من

وطلبت المناسبة الصحيحة فيبطل هذا سبب الاشراك حتى لا يبقى كفر جلي اذ لا محمل له سواه

وسبب هذه الحماقات كلها انهماك امرء في امر دنيا لما كان تهمك فتحتاط فيه بقول

المنجم وبالاختلاج والفال والامور البعيدة عن المناسبة غاية البعد وتنقاد الى الاحتمالات

البعيدة لان الشفيق يسوء الظن مع الخلق ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط بالحظ الابدي

اليق فان قلت فما اي جنس من الاعمال ينبغي ان تتبع السنة فاقول في كل ما ورد

فيه السنة والاخبار في ذلك كثيرة وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه

برص فلا يلومن الا نفسه وقد احتجم ذلك عليه صح بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا

الحديث ضعيف فبرص وعظم ذلك عليه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فشكى اليه

ذلك فقال لم احتجمت يوم السبت فقال لان الراوي كان ضعيفا قال ليس كان قد نقل عني

فقال تبت يا رسول الله فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفاء فاصح وقد زال ما به وقال

صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم الثلثاء لسبعة عشر كان دواء لسنة وقال صلى الله عليه وسلم

من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وقال صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شسع نعل

احدكم فلا يشتر في نعل واحد حتى يصلح شسعه وقال صلى الله عليه وسلم اذا ولدت امرأة

فليكن اول ما تأكل الرطب فان لم يكن فتمر فانه لو كان شيء افضل منه لاطعمه الله عز وجل

من ثم حين ولدت عيسى عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم بالحلواء فليصب منه واذا

اتى احدكم بالطيب فليمس منه وامثال ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو شيء منها عن سر

خاتمة في ترتيب الاوراد وتنعطف على الامور العشرة اعلم ان هذه العبادات التي فصلناها

منها ما يمكن الجمع بينها كالصوم والصلوة والقراءة ومنها ما لا يمكن الجمع بينهما كالقراءة والذكر

وكالقيام بحقوق المناسر والصلوة فينبغي ان يكون من اهم الامور توزيع اوقاتك على

اصناف الخيرات من صباحك الى مسائك ومن مسائك الى صباحك وتعلم ان مقصود العبادات

تاكيد الانس بذكر الله عز وجل للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور وان يسعدني دار

الخلود الا من قدم على الله سبحانه محبا له ولا يكون محبا له الا من كان عارفا به مكثرا الذكر

ولا تحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدايم ولن يدوم الذكر في القلب الا بالمذكرات وهي

العبادات المستغرقة للاوقات على التعاقب والاختلاف اوصافها زيادة تاثير في التذكير ومنع
ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي ينتهي الى حد الاعتياد ان كنت قائلها بالله
عز وجل مستغرقا به لم تفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو ملازمة الذكر وما اراك
تكون كذلك فان ذلك من اعز الامور فاذا لم تكن واظبت مترتبا فعليك به ترتيب اوراد فاحد
الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس وينبغي ان تجمع في هذا الوقت الشريف
بعد الفراغ من الصلوة بين الذكر والدعاء والقراءة والتفكر فان لكل واحد اثرا آخر في تنوير القلب
وتعرف كيفية ذلك وتفصيله من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد وكذلك تفعل
بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب وبين الغروب والعشاء فانها من اشرف الاوقات
لان النشاط انما يتوفر بان تمر ورد لكل وقت لتلون في كل وقت عبادة اخرى تستقل
من بعضها الى بعض هذا ان كنت من العباد فان كنت من العجاد فان كنت معلما او متعلما
او واليا فالاشتغال بذلك اولى في بياض النهار وافضل من العبادات البدنية لان اصل
الدين العلم الذي به تحصل التعظيم لامر الله سبحانه والشفقة الذي يصدر عن الشفقة على خلق
الله وكذلك ان كنت عجلا محترفا فالقيام في الحياة بكسب الحلال افضل من العبادة
البدنية ولكن في جميع ذلك لا ينبغي ان تخلو وتشغل عن ذكر الله تعالى بل تكون كالمستهتر بعشوقه
المدفوع الى شغل من الاشغال لضرورة وقته فهو يعمل ببدنه وهو غايب عن عمله حاضر
بقلبه مع معشوقه حكي عن ابي الحسن الخرجاني انه كان يعمل بالمسحاة دايما وكان يقول
اعطيت اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق ولنقتصر

على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله القسم الثالث في تزكية
القلب عن الاخلاق المذمومة قال الله تعالى قد افلح من تزكى وقال الله تعالى قد افلح من زكيها
والتزكية هي التطهير وقال عليه السلام الطهور شطر الايمان فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية
القلب عما لا تحبه الله تعالى وتحليته بما تحبه الله فالتزكية شطر الايمان وكيف يشتغل بالطهارة
من لا يعرف النجاسة فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن يرجع شعبها الى عشرة
اصول الاصل الاول شره الطعام وهو من الامهات لان المعدة ينبوع الشهوات اذ منها
ينشعب شهوة الفرج ثم اذا غلبت شهوة المأكول والمنكوح انشعب منه شره المال اذ لا
يتوصل الى قضاء الشهوتين الا به وينشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يعز كسب
المال دونه ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما يزدحم الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد
والحقد والعداوة وغيرها وينبع جميع ذلك البطن فلهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الجوع
فقال ما من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال عليه السلام لا يدخل ملكوت السماء من علأ
بطنه وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وقال عم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة
وقال عم افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كثير الاكل شروب نؤوم
وقال عم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه
وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال عم ان الشيطان
ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقال عم لعايشة رضي الله
عنها اديمي قرع باب الجنة يفتح لكم قالت كيف ذلك يا رسول الله قال بالجوع والظمأ وقال عم كلوا

واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة **وصل** لعلك تشتهي ان تعلم
السر في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق الآخرة فاعلم ان له فوايد كثيرة ولكن يرجع اصولها
الى سبع احديها صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب قال عليه السلام
من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولانحنى كان مفتاح السعادة المعرفة ولا
تنال الابصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة الثانية رقة القلب حتى يدرك
به لذة المناجات ويتاثر بالذكر والعبادة قال الجنيد رحمه الله يحجل احدكم بينه وبين قلبه
محلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجات ولانحنى عليك ان احوال القلب هي الخشية
والخوف والرقة بالمناجات والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة وان كان باب المعرفة
فوقه والجوع قرع هذا الباب الثالثة ذل النفس وزوال البطر والطغيان منها شئ
كالجوع والطغيان داع الى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشقاوة والجوع اغلاق هذا الباب
وفي اغلاق باب الشقاوة فتح باب السعادة ولذلك لما عرض الدنيا للنبي عليه السلام قال الا بل اجوع
يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت الى رابعة ان البلاء
من ابواب الجنة لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الآخرة
لايقدر الانسان على ان يعذب نفسه بشئ كالجوع فانه لايحتاج فيه الى تكلف ويرتبط به بها
فوايد اخرى فيكون مشاهدا بلاء الله تعالى على الدوام الخامسة كسر سايرالشهوات التي
هي منابع المعاصي قال علي رضي الله عنه ما شبعت قط الا عصيت او هممت وقالت عايشة
رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم

جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا السادسة خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم
المانع من العبادة فان راس مال السعادة العمر والنوم ينقص العمر اذ هو من العبادة واصله
كثرة الاكل قال ابو سليمان الداراني رحمه الله من شبع دخل عليه ست فقد حلاوة العبادة وتعذر
حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة
وزيادة الشهوات وان سايرالمومنين يدورون حول المساجد وهو يدور حول المزابل
السابعة خفة المونة وامكان القناعة بقليل من الدنيا وامكان ايثار الفقر فان من تخلص
من شره بطنه لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمن اراد ان يستقرض
لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه فترك شهوته كان اذا قيل لابرهيم بن ادهم رحمه الله
في شئ انه غالي قال ارخصوه بالترك **وصل** لعلك تقول قد صار الشبع والاكثار من
الاكل عادة فكيف اتركها فاعلم ان ذكر سهل رحمه الله من اراد ان يذبح وهو ان ينقص من طعامه
كل لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير القليل عادة ثم اذا ادعت
في القليل فلك نظر في القدر والوقت والجنس اما القدر فله ثلاث درجات اعلاها
وهي درجة الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي تخاف النقصان منه
على العقل والحيوة وهو اختيار سهل التستري وهو يرى ان صلوته قاعدا
لضعفه بالجوع افضل من الصلوة قايما مع قوة الاكل الثانية ان يقنع
بنصف مدكل يوم وهو ثلث البطن وعادة كان عمر رضي الله عنه وجماعة
من الصحابة رضي الله عنهم ان كان قوتهم بالاسبوع صاعا من شعير الثالثة

المذاق الواحد وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وميل عن طريق السالكين المسافرين
الى الله تعالى وقد يؤثر في المقادير اختلاف الاحوال والاشخاص وغير ذلك فالاصل فيه ان يعد البدا اصدق
جوعه ويكون وهو صادق الاشتهاء وعلامة صدق الجوع ان تشتهي اي خبز كان من غير ادم واذا
استثقل الاكل بغير ادم فمن علامة الشبع واما الوقت ففيه ايضا ثلاث درجات اعلاها ان
يطوى ثلاثة ايام فما فوقها فقد كان الصديق رضي الله عنه يطوى ستة ايام وابرهيم بن ادهم طوى ثلاثين
سبعا وبعضهم انتهى الى اربعين يوما وقيل من طوى اربعين يوما ظهرت عليه شئ من عجايب الملكوت
ولا يمكن ذلك الا بتدريج واما الاوسط بان يطوى يومين والادنى بان يأكل في اليوم مرة واحدة
فمن اكل مرتين لم يكن له حالة الجوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع واما الجنس فاعلاه
خبز البر مع الادام وادناه خبز الشعير من غير ادام والمداومة على الادام مكروهة جدا قال عمر
رضي الله عنه لولدي كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا ولبنا ومرة خبزا وملحا
ومن خبزا فقال انما هذا تنبيه على الاحسن في اهل العادة واما السالكون الطريق فقد
بالغوا في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم يشتهي الشهوة عشر سنين وعشرين سنة وهكذا
يخالف نفسه ويمنعها شهواتها وقد قال النبي عليه السلام شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبت عليها لحومهم
اجسادهم واتما همتهم الوان الطعام واللباس ويتشدقون في الكلام وقد شرحنا طريق السلف
في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين الاصل الثاني عشر الكلام وذكر لابد من قطعه
فان الجوارح كلها تؤثر اعمالها في القلب لكن اللسان اخص بذلك لانه يعبر عن القلب ما كان فيه
من الصور فتقتضي كل كلمة صورة في القلب محاكية لها فلذلك اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة

كاذبة

كاذبة وعوج بذلك وجه القلب واذا كان في شئ من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه القلب واظلم حتى
ينتهي كثرة الكلام الى اماتة القلب ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اللسان فقال عليه السلام
من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وسيل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان
الفم والفرج وقال وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال من صمت نجا وقال له رجل حضرت
معاذ رضي الله عنه اي الاعمال افضل فاخرج لسانه ووضع عليه وقال ان اكثر خطايا ابن آدم
في لسانه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال من كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به ولهذا كان الصديق رضي الله عنه
يضع حجرا في فيه ليمنع نفسه من الكلام **فصل** اعلم ان اللسان عشرين افة
شرحناها في كتاب افات اللسان ويطول ذكرها ويكفيك العمل بآية واحدة قال الله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف الاية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعنيك
وتقتصر على المهم ففيه النجاة قال انس رضي الله عنه استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا ينقصه وحد ما لا يعنيه هو الذي لو تركه لم يفت به
ثواب ولم تتنجر به ضرورة ومن اقتصر من الكلام على هذا قل كلامه فليحاسب العبد نفسه
عند ذكره ما لا يعنيه انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف
يسمح العقل بترك كنز مكنوز واخذ مدرة هذا لو لم يكن فيه اثم فان كان اثم فقد استبدل بترك كل
كنز واخذ شعلة من النار ومن جملة ما لا يعنيه حكاية الاسفار واحوال اطعمة البلاد وعاداتهم واحوال الناس

فصل

واحوال الصناعات والتجارات وهو من جملة ما ترى الناس يخوضون فيه فصل
لعلك تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات فاعلم ان الغالب على الالسنة من جملة العشرين
آفة خمسة الكذب والغيبة والمماراة والمدح والمزاح الاول الكذب وقد قال عم لايذال العبد
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال عم ويل للذي يحدث فيكذب ويل له وقيل ويل له
يا رسول الله أئذر في الهوى من ايسرق الهوى من قال عم فكيف يكون ذلك فقيل له ايكذب فقال لا انما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله وقال عم الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وكان متكئا فقعد وقال وقول الزور وقال عم كل خصلة يطبع المؤمن عليها المؤمن من الا الخيانة
والكذب وقيل اعلم ان الكذب حرام في كل شئ الا الضرورة حتى قالت امراة لولدها الصغير
تعال حتى اعطيك فقال عليه السلام وماذا كنت تعطينه لو جاءت قالت تمرة قال اما لو لم تفعلي كتبت
عليك كذبة فليحذر الانسان الكذب حتى في التخيل وحديث النفس فان ذلك يثبت في النفس
صورة معوجة حتى يكذب الرؤيا ولا ينكشف في النوم اسرار الملكوت والتجربة تشهد لذلك
نعم انما يرخص في الكذب اذا كان الصدق يفضي الى محذور آخر اشد من الكذب فيباح كما يباح
الميتة اذا اذى تركها الى محذور اشد من اكلها وهو فوات الروح قالت ام كلثوم ما رخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شئ من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد به الصلاح والرجل يقول
في الحرب والرجل يحدث امراته وهذا لان اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجتراء واسرار
الزوج لو وقفت عليه المراة نشأ منها فساد اعظم من فساد الكذب المتخاصمان يدوم
بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى فهذا ما ورد فيه الخبر وفي معناه

كذب الانسان ليسلم مال غيره عن ظالم وانكار ليسلم غيره بالانكار لحصيلة نفسه عن غيره
فان المجاهرة بالفسق واظهاره حرام وانكاره جناية على غيره لتطيب قلبه وانكاره
مع زوجته ان يكون ضرتها احب اليه وكذلك يرجع الى دفع الضرار فلا يحل جلب زيادة
مال وجاه وفيه يكون اكثر الناس ثم اذا اضطر الى الكذب فليعدل الى المعاريض ما امكن
حتى لا تعتاد نفسه الكذب كان ابرهيم اذا طلب في الدار يقول لخادمته قولي له اطلبه في المسجد
وكان الشعبي يخط دايرة ويقول لخادمته ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هو هنا وكان بعضهم
يعتذر عند الامير ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض الا ما شاء الله وكان بعضهم
ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيوهم النفي بحرف ما وهو يريد
غيره ويباح المعاريض لغرض خفيف لقوله عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز ويحملك على ولد البعير
وفي عيني زوجك بياض لان هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد فيباح مثل ذلك مع النساء
والصبيان ليطيب قلوبهم بالمزاح وكذلك من يمتنع عن اكل طعام فلا ينبغي ان يكذب ويقول لا اشتهي
اذا كان يشق عليه بل يعدل الى المعاريض قال عم لامراة قالت ذكاة لا تحمي كذبا وجوعا الافة الثانية
الغيبة قال الله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال النبي عم الغيبة اشد من الزنا
واوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تايبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها
فهو اول من يدخل النار وقال عم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم
فقيل لي هؤلاء الذين يغتابون الناس واعلم ان حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى ان تذكر
اخاك بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه او عقله او ثوبه او فعله

ذكر حديث رسول الله صلعم

او قولهم او بدنه او داره او دابته او شيئا مما يتعلق به ح فقولك انه واسع الكم او طويل الذيل حتى
ذكر رجل عند رسول الله فقيل له ما اعجزه فقال اغتبتموه واشارت عايشة رضي الله عنها بيدها الى امراة
انها قصيرة فقال اغتبتيها فهذا يعلم ان الغيبة لا تقتصر على اللسان بل الافوق بين ان تحصل
بالتفهيم باليد او بالرمز او بالاشارة او بالحركة او الحاكاة او التعريض المفهم كقولك ان بعض
اقربائنا وبعض اصدقائنا كذى ولعلم ان اخبث انواع الغيبة غيبة القراء ويقولون
مثلا الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا ونعوذ بالله من قلة الحياء
وهم يفهمون المقصود بذلك يقولون ما احسن احوال فلان لولا انه بلى بما يبلى به امثالنا ومن قلة
الصبر عن الدنيا فسال الله ان يعافينا وغرضهم بذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة وبين
الرياء واظهار التشبه باهل الصلاح فى الحذر من الغيبة وهذه خبايث يغترون بها ويظنون انهم
تركوا الغيبة وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى
تنبه القوم للاصغاء فيستعمل ذكر الله تعالى فى تحقيق خبثه ويقول قلبى مشغول بفلان تاب الله علينا
وعليه وليس غرضه الدعاء بل التعريف ولو قصد الدعاء لاخفاه ولو اغتم قلبه لاجل لكنتم عبيد معصيته
وكذلك المستمع قد يظهر تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه فى الغيبة والمستمع احد المغتابين
كذلك قال ابن عمر فليذد احدكم نشاطه بالتعجب وكذلك قد يقول ادع غيبة فلان وهو بقلبه غير
كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع فيذكر لا يخرجه عن اثم الغيبة مالم يكرهه بقلبه ويوطن
نفسه على اثم الرياء بل يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المغتاب فلا يصدقه انه فاسق يستحق
التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة يستحق احسان الظن به وقال رسول الله ان الله حرم

من المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان
حرام الا ان يظهر على معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل **فصل** اما يرخص فى الغيبة
فى ستة مواضع الاول منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند سلطان ليدفع ظلمه فما عند غير
السلطان وعند غيره من يعين على الدفع فلا غيبة وذكر الحجاج عند بعض السلف فقال ان
الله تعالى لينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه الثانى الذى يستعان به على تغيير
المنكر يجوز ان يذكر له ايضا الثالث المستفتى اذا اقتصر فى ذكر السؤال كما قالت هند ان
ابا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى وعلاكم شكاية ولكن انما تحل اذا كان فيها
فائدة الرابع تحذير المسلم من شر الخيار اعلم انه لو لم يذكر لفسدت شهادته كما يذكر
الملك اذ يعامل او يتاكح فيضطر به فيذكر لمن يتوقع تضرره به فقط الخامس
ان يكون معروفا باسم فيه عيبة كالاعمش والاعرج والاولى الحاق اسم اخر به السادس
ان يكون مجاهرا بذكر العيب لا يكره ان يذكر كالمحدث وصاحب الماخور وقال الحسن ثلاثة
لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجاير وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون
ولا يكرهون الذكر والصحيح ان ذكر الفاسق لحصية تخصها يكره ذكرها المحزن
من غير عذر **فصل** علاج التفكر فى كفها عن الغيبة ان يتفكر فى الوعيد الوارد
فيها وفى قوله عليه السلام ان الغيبة اسرع فى حسنات العبد من النار فى اليبس وورد
ان حسنات المغتاب تنقل الى ديوان المظلوم بالغيبة فينظر فى قلة حسناته
وكثرة غيبته وانه ينتهى الى افلاسه على القرب ثم يتفكر فى عيوب نفسه فان كان فيه عيب

عيب فيشتغل بنفسه عن عيب غيره وان كان قد ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر
من ضرره من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم انه ان جهله بعيوب نفسه اعظم عيب
ومع ذلك فالانسان لا يخلو عن عيب ثم ان خلا عنه فليشكر الله تعالى ابدا على الخيبة وان ثلب الناس
واكل لحم الميتة من اعظم العيوب فليحذر منه ثم مهما سبق لسانه الى الغيبة فينبغي ان
يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه
فليكثر من الثناء عليه والدعاء له ومن الحسنات حتى اذا انقل بعضها الى ديوان المظلوم بقي
ما يكفيه هو كفارة الخيبة الثالثة المراء والمجادلة قال النبي عليه السلام من ترك المراء
وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة
وهذا لان الترك المحض اشد وقال النبي عليه السلام لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو
محق وحد المراء الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ او في المعنى والباعث
عليه مادة الترفع باظهار الفضل وسببه خبث الرعونة واما السبعية التي في الطبع المتشوفة
الى تنقيص الغير وقهره فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبيثين المهلكين فالواجب ان يصدق
ما سمعه من الحق ويسكت عما على ما سمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة دينية وكان
يسمع منه فيذكره برفق لا بعنف الآفة الرابعة المزاح والافراط فيه يكثر الضحك
ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط الهيبة والوقار قال النبي عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة
يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد من الثريا وقال عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه واعلم ان اليسير
منه في بعض الاوقات لا بأس به لا سيما مع النساء والصبيان تطييبا لقلوبهم فقد كان من رسول الله
صلى الله عليه وسلم

لكنه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ويعرض عما عداه ضبطه ذكر وقد روي انه عليه السلام سابق عائشة
رضي الله عنها بالعدو وقال للعجوز لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها لا يبقى في الجنة عجوز وقال رسول الله لصبي يا عمير
ما فعل النغير والنغير ولد العصفور كان يلعب به الصبي وقال صلى الله عليه وسلم للصهيب وهو يأكل
التمر اتأكل التمر وانت رمد وقال انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامثاله
من المفاكهة لا باس لا باس بها بشرط ان لا يتخذها عادة الآفة الخامسة
المدح كما جرت به عادة الناس عند المخنثين من ابناء الدنيا وكما جرت به عادة
القصاص والمذكرين فانهم ممدوحون من بعض مجالسهم من الاغنياء وفي المدح ست آفات
اربع على المادح واثنتان على الممدوح فالآفة الاولى فيه انه قد يفرط فيه
فيذكره بما ليس فيه فيكون كذابا الثانية انه قد يظهر له من صاحبه ما لا يعتقده فيكون منافقا
مرائيا الثالثة انه يقول ما يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع وغير
ذلك مما لا يتحقق مدح رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ويحك قطعت عنق
صاحبك انكان لا بد من كون احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا
حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك الرابعة ان يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيعصي
بانشراح الصدر على قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من
دعا الفاسق بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى فالظالم ينبغي ان يذم ليقل رغبته في الظلم
والفسق واما الممدوح فاحد الآفتين تحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان
ولذلك قال قطعت عنق صاحبك الثانية ان يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه قال رسول الله

لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه واما اذا سلم المدح
عن هذه الآفات في الممدوح والمادح فلا باس به وربما ندب اليه قال عليه السلام لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لو امكنني ان ابعث لبعثت ياعر وقد اثنى على كثير من الصحابة
اذ علم ان ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجبا وصل حق على الممدوح
ان يتامل في خطر الحامد ودقايق الرياء وآفات الاعمال ويتذكر ما يجري فيه من نقمة من القبايح
الباطنة لا سيما في افكاره وحديث نفسه مما لو عرفه المادح لكف عن المدح وينبغي ان يظهر
كراهة المدح ويكره بالقلب واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين
وقال بعضهم لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهد على مقته
وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني
خيرا مما يظنون الاصل الثالث في الغضب اعلم ان الغضب شعلة نار
اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق الشيطان
فانه مخلوق من النار وكما ان شدة الغضب من المهلكات في الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال عليه السلام الغضب يفسد
الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب احد قط الا اشفى على جهنم وقال رجل
يا رسول الله اي شيء اشد فقال عليه السلام غضب الله قال فما يتقى قال في من غضب الله عز وجل قال ان لا
تغضب وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفني بعمل افعله فقال عليه السلام لا تغضب فاعاد عليه مرارا
وهو يقول لا تغضب وكيف لا تغضب آفة الغضب هو التجمل في الظاهر على الضرب والشتم واطالة

اللسان والباطن على الحقد والحسد واظهار السوء والشماتة والعزم على افشاء السر
وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والخرس بمسرته وكل واحد من هذه الخبايث
مهلك فوصل عليك في صفة الغضب وطريقة ان احديها كسره بالرياضة
واما محتده واسبابه اعني بكسر اطالته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان يزول بل ان زال وجب تحصيله
لانه آلة القتال مع الكفار والمنع المنكرات وكثير من الخيرات وهو كالكلب الصايد اتمرياضته اي غضب
في تاديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما
فال يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال
مع التعرض للغضبات الثانية ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم ويعين عليه علم
وعمل اما العلم فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه ان يجري القضى مراد الله تعالى
مراده وهذا غاية الجهل والاحمق ان يعلم ان غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه وان فضل الله
اكبر وهو عصاه خالف امره فلم يغضب على من خالفه غيره فليس امره الزم على عبده
واهله ورفيقه من امر الله تعالى عليه واما العمل فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ
يعلم ان ذلك من الشيطان فان لم يسكن فليجلس ان كان قايما وليضطجع ان كان قاعدا
كذلك ورد الخبر باختلاف الحال انه يوثر في التسكين فان لم يسكن فيتوضا قال عليه السلام
ان الشيطان خلق من النار وانما تطفاء النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا
وقال عليه السلام الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه
فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وهذه اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من ارذل

المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم في الغضب يعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة القايم الصايم وانه ليكتب جبانا وما ينبغي
يملك الا اهل بيته وقال الحلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملاه الله تعالى قلبه يوم
القيامة امنا وايمانا وقال عليه السلام ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها
عبد وما كظم عبد الا ملاء الله قلبه ايمانا الفصل الرابع في الحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحذر ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد الظن
والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض
واذا حسدت فلا تبغ وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي
الحالقة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي
التي قسمت بين عبادي واعلم ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك او تحب
نزول مصيبة به ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زواله
منه ويجوز ان تحب زوال النعمة ممن يستحق بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة
وانما تريد زوال الظلم وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته وسبب
الحسد اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده من غير غرض
فيه وفصل اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب ومرض القلب لا يبلى الا بجهد
العلم والعمل فاما العلاج العلمي فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده وينفعه
اما انه يضره فلانه يسخط قضاء الله ويعرض نفسه لسخط الله عز وجل اذ يسخط قضاء الله ويشتهي بنعمته

التي وسمها من خزائنه على عباده وهذا ضرر واما ضرره في دنياه فانه لا يزال في غم قايم
وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فانه اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه حزن حاسده
فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له والحسود لا يخلو قط من الغم والمحنة اذ لا يزال
اعداوه او واحد منهم في نعمة واما انه ينفع عدوه ولا يضره لان النعمة لا تزول بحسده
وانه يضاعف حسناته او تنقل حسنات الحاسد اليه لا سيما اذا طوى اللسان فيه فانه
مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الاخرة وحصل
لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الاخرة فلم يكن ذلك عدوه بحيث فلم يصب عدوه وعادت
الى عينه فاعمته وزادت عليه شماتة عدوه اليه فهذا فاته النعمة وفاته الرضا بالقضاء
ولو رضي به لكان فيه ثواب لا سيما اذا حمله العلم والورع فان محب العالم يعظم ثوابه واما
العلاج العملي فهو ان يعرف حكم الحسد وما يتقاضاه من قول وفعل فيحالفه ويعمل بنقيضه
فيثني على المحسود ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له ويذكر يوم المحسود صديقا له وتزايله
الحسد ويتخلص عن اثمه والمه قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وفصل احمل نفسك لا تطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك
بل تكره مادة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق دون العدو واشت مكلفا بالا تطيق
فان لم تقدر على ذلك فتخلص من الاثم بامرين احدهما ان لا تظهر الحسد بلسانك وجوارحك
واعمالك الاختيارية بل تخالف موجبها والثاني ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى
عن عبده من عباده فاذا اقترنت الكراهة عن باعث الدين تحب زوال النعمة الذي اقتضاه الطبع

اندفع عنك الاثم وليس عليك تخير الطبع فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهية ان
تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته لم تقدم على الازالة مع حبك طبعا ولو قدرت على محو نيته
في دوام نعمته او في زيادتها فعلت مع كراهيتك لذلك فاذا كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يقتضاه
طبعك فان الطبع انما يصير مذموما في حق المتهيء بالله انقطع نظره عن الدنيا وعن الخلق
بل علم ان المنعم عليه ان كان في النار فما وقع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه
النعمة الى الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله تعالى فيحبهم لانهم عباد محبوبه ويحب ان يظهر اثر
نعمة محبوبه على عباده وهذه حالة نادرة لا تدخل تحت التكليف

الفصل الخامس

في البخل وحب المال واعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الآية وقال الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم وقال صلى الله عليه وسلم
السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا
يلج النار الا بخيل وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع الحديث وقال شر
ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقال ان الله تعالى يبغض البخيل في حياته ويحب السخي
عند موته وقال عليه السلام السخي الجاهل احب الى الله من العابد البخيل وقال عليه السلام لا يجتمع في قلب
البخل وسوء الخلق

الفصل السادس

اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم ومن المال
لا يظهر بخله ولكن يظهر حب المال ورب رجل سخي لكنه يحب المال ويسخى به فينبغي ان يكون السخاء
فذلك ايضا مذموما لان حب المال يلهي عن ذكر الله تعالى ويصرف وجه القلب الى الدنيا وتحكم

على قدر فيها حتى يشغل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله الآية وقال انما اموالكم واولادكم فتنة قال الله تعالى الهيكم التكاثر وقال النبي عليه السلام لا يتخذوا
الضيعة فتحبوا الدنيا وقيل للنبي عليه السلام اي امتك شر فقال الاغنياء وقال عليه السلام من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال رجل يا رسول الله اني لا احب الموت فقال هل لك مال فقال نعم قال قدم
مالك فان قلب الرجل يا رسول الله مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان اخره احب ان يتخلف وقال عليه السلام
اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال عليه السلام تعس عبد الدينار وعبد
الدرهم تعسه وانتكس واذا شيك فلا انتقش

الفصل السابع

اعلم ان المال ليس مذموم
لعينه فقد قال عليه السلام مركبة ولا يمكنه السفر الا به نعم المال الصالح للرجل الصالح
وقال عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة وكيف يكون مذموما وقال عليه السلام مطلقا
والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من منازل سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه الا به ولا
يبقى البدن الا مطعم وملبس ولا وصول اليهما الا بالمال لكن من فهم فايدة المال
وعلم ان الآلة على الجادة لسلوك الآخرة لم يعرج عليه ولم يأخذ منه الا قدر الحاجة فان
اقتصر على ذلك سعد به كما قال ابنتي لعائشة رضي الله عنها ما اردت اللحوق بي فاقتني
من الدنيا بزاد الراكب واياك والتجدد قميصا حتى ترقعيه وقال عليه السلام اجعل قوت آل محمد كفافا
وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اخذ حتفه وهو لا يشعر به وكذلك ما زاد اخذه ما يزيد على زاد الطريق ما دامت تحمله
ولم يبلغ مقصد سفره والزيادة على قدر الكفاية مهلكة من ثلاثة اوجه احدها ان

ان يدعوا الى المعاصي فانه يمكن منها ومن المعصية ان لا تقدر وفتنة السراء اعظم من فتنة
الضراء والصبر مع القدرة اشد الثاني ان يدعوا الى التنعم بالمباحات وهو اقل الدرجات فيغلب
على التنعم جلده ولا يمكنه الصبر عنه وذكر لا يمكن استدامته الا باستعانة بالخلق والتجارة
الى الظلمة وذكر يدعوا الى النفاق والكذب والرياء والعداوة والبغضاء وينشعب منه جملة المهلكات
فلذلك قال حب الدنيا راس كل خطيئة الثالث ان يلهي عن ذكر الله تعالى الذي هو اساس
السعادة الاخروية اذ يزدحم عليه خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير
الحذر منهم وتدبير استيفاء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا وكل
ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه ويلهي عن الذكر كما قال الله تعالى الهيكم التكاثر الى اخر السورة

وصل لعلك تشتهي ان تعرف مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا ويدعي ان ما
في يده دون مقدار كفايته فاعلم ان الضرورة انما تدعوا الى المطعم والملبس فقط
فان تركت التجمل في الملبس فيكفيك في السنة دينار ان شئت كل وصيفك وتتجر بهما ثوبا
خشنا يدفع الحر والبرد وان تركت التنعم في مطعمك واشبع من البطيخ في جميع احوالك فما
فيكفيك في كل يوم مد فيكون في السنة خمسماية رطل ويكفيك لادامك ان لم تتوسع فيه واقتصرت
على القليل منه في بعض الاوقات ثلاثة دنانير في السنة عند رخاء الاسعار
فاذا ابيلغ كفايتك خمسة دنانير وخمسماية رطل وهو القدر الذي نقدره اذا فرضنا نفقة
العزب فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك فاذا كنت كسوبا وكسبت في اليوم
ما يكفيك ليومك فانصرف فاشتغل بالعبادة فان طلبت الزيادة حرمت من اهل الدنيا فان

لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل منها هذا القدر دائما
فأرجو ان لا تحرم بذلك من اهل الدنيا لا سيما في هذه الاعصار وقد تحيرت القلوب واستولى
عليها الشح وانصرفت الهمم عن تفقد فضول الحاجات فاقتنار هذا اولى من السؤال
وهذا بشرط ان يكون بودك ان تخلص من التعرض للجرح والبرد لتطرح الضيعة وتتركها
فلا تكون كارها للموت لاجل الضيعة ولكن الضيعة وهي مدخل طعامك كالخبز الذي هو موضع
فراغك وانما تريده للضرورة وبودك لو تخلصت منه فهذا التخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا
الضيعة فتحبوا الدنيا فانك اذا قصدت الفراغة للاستعانة بها على الدين كنت متزودا
مسافرا والامر جاء على الضيعة وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرت
الا بشدة ومشقة ولا حرج في الدين فاذا رأيت في نفسك الضعف من هذا القدر فلا تصير من ابناء الدنيا
ولا تخرج من حزب ابناء الاخرة والسائرين الى الله تعالى ما دام يقصد بذلك دفع الم الشغل والكد
والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا ثم ما فضل من الطعام صرفه الى اللباس والادام
ولا تبقي بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم او للتصدق او للاستظهار لاصحاب
المال اما للتنعم فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا واما التصدق فترك المال افضل
منه قال عيسى صلوات الله عليه يا طالب الدنيا ايسر فقر كل طالب ابر واما الاستظهار لخوف آفة
فذلك لامرة له وهو موسوس لا حرج له بل ينبغي ان تدفع ذكر محسن الظن بتدبير الله ومهما
اتفق ان تصور ان يصيب المال آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان ينفتح الرزق ايضا
باب لا تحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وان فرض على التدور

خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد ان سلامته طول عمره عن البلاء يحتوم بل البلاء هو الذي يصقل القلب
وتزكيه فتخلصه من الخبايث كلها ولذا كان موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فالاتكل فالاتكل
على فضل الله تعالى واعلم انك لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخير تكل فان الله مدبر الملك والملكوت اعلم
بمصالحك وصل هذا الذي ذكرته تقريب يمكن الزيادة عليه والنقصان منه بالاجتهاد

تعقد ح في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن اعتقد قطعا ان المال كالدواء والنافع منه قدر
مخصوص والافراط فيه قاتل والقرب من الافراط ممرض ان لم يقتل فعليك ان تجتهد في التقريب
من الضرورة لا في التقريب من الافراط والرفاهية فذلك خطر عظيم وليس في التقليل الا مشقة
يسيرة في ايام قلايل وفي الحزم لا يثقل عليه ان يجرع نفسه لوليمة الفردوس من علم بان اللذة
على قدر الجوع وصل لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد تشكل
في انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه فلا علم ان حد البخل منع ما يوجبه الشرع او المروة ولا
تظن ان من سلم الى زوجته وقريبه ما فرضه القاضي وضايق وطالب ذلك في القمة فليس بخيل وان من
رد الخبز واللحم الى القصاب والخباز لنقصان قدر درهم ليس ببخيل وان كان له ذلك
في الشرع فان مدار الشرع في هذه الامور قطع خصومة الخلق بتقدير مقدار يطيقه البخيل
ولذلك قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل لا بد من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة
وذلك يختلف بالاشخاص وقدر المال فمن له مال وامكنه ان يقطعه هجي شاعر ودمه فمنعه بنفسير
بقدر سير فلم يفعله فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه اذ قال النبي ما وقى المرء به عرضه
فهو له صدقة والتحقيق فيه ان المال خلق لفايدة لاجلها يبذل وفي بذلها ايضا فايدة فهما

ظهر له ان فايدة البذل اعظم من فايدة الامساك ثم شق عليه البذل فهو بخيل فحب المال والمال لا ينبغي
ان تحب لذاته بل لفايدته فيصرف الى اقوى فايدة وحفظ المروة افضل واقوى من التنعم
بالاكل الكثير مثلا وقد يحمله حب البخل وحب المال على ان يجهل اقوى الفايدتين واوليهما وفيه غاية
البخل فان علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكلفا فله اثم ايضا عن البخل بان لا يثقل
عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا وشرعا وامادرجة السخاء فلا تنال الا ببذل ما يزيد
على واجب الشرع والمروة صحيحا وصل لعلك تريد ان تفهم علاج البخل فاعلم ان
دواءه يتعين من مركب من العلم والعمل اما العلم فهو ان تعلم ما في البخل من الهلاك في دار الآخرة
والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال لا يتبعه ان بقي الى قبره وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه
الى مهام اموره وتعلم ان امساك المال ان كان للتنعم في الشهوات فهو الاحدوثة وثواب
الآخرة اكذ منه فقضاء الشهوة سجية البهايم وهذه سجية العقلاء وان كان ليدخره لولده
فكانه يترك ولده بخير ويقدم على الله بشر وهذا عين الجهل كيف وولده ان كان صالحا
فالله يكفيه وان كان فاسقا فيستعين به على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها فيتضرر
هو وينتفع غيره واما العمل فهو ان يحمل نفسه على البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى
يصير له عادة وجبلة فيه ان تخدعه بحسن الاسم وتوقع الحماقة حتى يرغب في البذل
ثم بعد ذلك يتمادى ترقيا الى قمع هذه الصفات

الاصل السادس

الرعونة وحب الجاه وقال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال عليه السلام حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب

كما ينبت الماء البقل عليه السلام في مدح الخوارزميين اشحذ اغبر ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله
لابره وقال عليه السلام ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه
في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله
لابره وقال عم ان اهل الجنة كل الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يوذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا
واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم يتململ في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم
وقال سليمان بن حنظلة بينا نحن حول اباني بن كعب نتشئ خلفه اذ رآه عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة
فقال انظر يا امير المومنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للمتابع وفتنة للمتبوع وقال الحسن رضي الله عنه
ان حقوق النعال خلق الرجل قل ما يثبت معه قلب الحمقى وقال ايوب رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد
الا يسره ان لا يشعر بمكانه فقد عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الآن يشهر الله تعالى عبدا في الدين
من غير طلب منه كما يشهر الانبياء والحكماء والخلفاء الراشدين والاولياء فصل حقيقة
الجاه وهو ملك القلوب لتسخر له الجاه على حسب مراده ويطلق اللسان بالثناء عليه ويسعى
في حاجاته وكما ان معنى المال هو الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض فكذلك مع الجاه ملك القلوب
لكن الجاه احب لان التوصل به الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن ان يسرق
ويخصب وتحرسه الآفة ولانه يدر وينمو من غير تكلف فان من ملك قلبه باعتقاد التعظيم
فلا يزال يثني ويقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه وفيه سر آخر وهو ان الجاه محناة العلق
والكبرياء والعز وهن من الصفات الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هي اذ الاشياء
عنده وذلك لسر خفي من مناسبة الروح للامور الالهية وعند العبارة بقلم تعالى قل الروح من امر ربي

مهما امر ربي شفقة من حيث الطبع للاستيلاء والانفراد بالوجود وهو حقيقة الالهية اذ ليس
مع الله تعالى موجود بل الموجود اما كلها كالظل من نور العزة القدرة فلها رتبة التبعية لا رتبة
الالهية فليس في الوجود مع الله غيره وكان الانسان يشتهي في كل بلدة كل نفس ان يقول انا ربكم
الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه غيره ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يعوته الاستيلاء
على الموجود واستكمالها بان يتصرف فيها على حسب مراده وهو الالهية لكن تعذر على الانسان هذا لكن
في السموات والكواكب والملائكة والبحار والجبال فاشتهى الاستيلاء على جميعها بالعلم لان العلم
نوع استيلاء ايضا كما ان من عجز عن وضع الاشياء العجيبة يشتهي ان يعرف كيفية
الوضع وكذلك يشتهي ان يعرف عجايب البحر وما تحت الجبال ويتصور ان تسخر له الاعيان
التي على وجه الارض من الحيوان والمعادن والنبات فيحب ان يتملكها ويتوطها ويتصور ان
تتسخر له الانسان فيحب ان تسخر له بواسطة قلبه ويملك قلبه بالبقاء التعظيم فيه
فيه ويحصل التعظيم بان يعتقد فيه كمال الخصال فان الجلال يتبع الاعتقاد الكمال
فلهذا يحب الانسان ان يتسع جاهه وينتشر صيته حتى الى بلاد يعلم قطعا انه لا يطأها
ولا يراها لان ذلك يناسب صفات الربوبية وكلما صار اعقل كانت هذه الصفة عليه
اغلب وشهوته الربوبية فيه اضعف فصل لعلك تقول فاذا كان ذكر فلم كان
طلب الرفعة مذموما وهو من نتايج العقل وخواص الروح المناسبة للامور الربوبية
فاعلم ان الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ المطلوب الكمال وهو القرب من الله
وذلك هو الرفعة والكمال اذ هو عز لا ذل فيه وغنى لا فقر معه وبقاء لا فناء بعده ولذة لا كدورة لها

وطلب ذلك محمود وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والقدرة
والحرية وهو ان لا يكون مفتقرا لغيره ولا يتصور للعبد حقيقة القدرة فان قدرته انما يكون بالمال
والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر عارض لا بقاء له ولا خير فيما لا بقاء له بل قد فيه اشد الغم عند
من سرور يتيقن عند صاحبه انتقاله وهذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت
وبافاتها مملوءة بالاصناف عن الكدورات فمن توهمها كمالا فقد ذل بل الكمال في الباقيات الصالحات
التي تنال بها القرب من الله تعالى ولا تزول بالموت بل تضاعف اضعافا غير محدودة وذلك هو المعرفة
الله تعالى
المحققة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو العلم بكمال الموجودات اذ ليس في الوجود الا
الله تعالى وافعاله لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذي ينظر في التشريح
اسم كتاب
لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة الاستدلال باحكام النجوم فهذا لا قدر له ومن
الى ينظر في العلم التشريح من غاية الطب
الكمال الحقيقي الحرية وهي انقطاع علائق تمنعك عن
علائق الدنيا بدنك عن كل ما يفارقك بالموت
والاقتصار في الالتفات الى الاهم الذي لا بد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه يا داود
لا بد لك منه فانه لا فراق لك منه
صلوات الله عليه يا داود انا بدلك اللازم فالزم بدلك فالعلم والحرية من الباقيات الصالحات وهما كمالان
البدل صفة ويقال البدل العوض بعينه معبود
وعميان والمتكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة واعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا
بطلب الكمال الحقيقي الوهمي وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة اذ يشاهدون انهم
خسروا الدنيا والاخرة واما الاخرة فلانهم لم يطلبوها واما الدنيا فلانهم لم يحصلوا اسبابها من المعرفة والحرية
واما الدنيا فلانها ودعتهم وانقلبت لاعدائهم وهم ورثتهم فلا تظنن ان العلم والايمان يفارقك
وداعكم
بالموت فالموت لا يهدم محل العلم اصلا وليس الموت عدما محضا تظن انك اذا مت عدمت

صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح من البدن الى ان يعاد اليه واذا تجردت اليه
عن البدن بقي عالما كما كان عليه قبل الموت من العلم والجهل فهم هذا طويل وتحته اسرار
لا تحتمل هذا الكتاب كشفها **وصل** اذا عرفت حقيقة الجاه وما هيته وانه
كمال وهمي فقد عرفت طريق العلاج في قمع جنته من القلب اذ علمت ان اهل الارض لو سجدوا
لك مثلا لم يبق الا الى حفرة قريبة لا الساجد ولا المسجود له كيف ويشرح الدهر عليك بان يسلم
كل الملك في حياتك فضلا عن قربك او بلدتك فكيف ترضى ان تترك الابد والجاه الطويل العريض
عند الله تعالى وعند ملائكته بجاه الحقير المنقوص عند جماعة من الحمقى لا ينفعونك ولا
جاه الدنيا
يضرونك ولا يملكون لك موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا رزقا ولا اجلا نعم ملك القلوب كملك الاعيان
الى الاموال
وانت محتاج منه الى قدر يسير لتحرز به نفسك عن الظلم والعدوان وعما يشق عليك
سلامتك وفراغتك التي تتوصل بها الى دينك فطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة
كما في المال وبشرط ان لا تتكسب بالمباحات بالعبادة فذلك حرام كما سيأتي وان لا تكتسبه
بالتلبيس بان تظهر من نفسك ما انت خال عنه فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس
الذي
وبين من يملك الاموال فاذا حصلت الجاه بطريقه واقتصرت على قدر التحرز من الافات
فترجى لك السلامة الا انك في خطر عظيم اكثر من خطر المال لان تقليل الجاه يدعو الى
محاصاة
كثير فانه الذم من المال فلذلك لا يسلم الدين غالبا الا الحامل مجهولا لا يعرف كما فهمت
مجانانا
ذلك من الاخبار **وصل** من الباعث على طلب الجاه حب المدح فان الانسان يتلذذ
به من ثلاثة اوجه احدها انه يشعر صاحبه بكمال لدلالة الكمال من الصفات الاطيبة

الثاني انه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مستحقا له الثالث انه
يشعر صاحبه بان المادح يصغي الى مدحه فيفتر بسببه جاهه وكذلك اذا اصدر المدح
من بصير بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على ملاء من الناس تضاعف
لذة المدح وتزول اللذة الاولى بان يصدر من غير اهل البصيرة فانه لا يشعر بالكمال وتزول
الثانية بان يصدر من خسيس لا قدرة له لان ملكه قليل لا يعتد به وتزول الثالثة بان
يمدح في الخلوة لا في الملاء الا من حيث يتوقع انه ايضا يمدح في الملاء واما الذم فانه مكروه
لنقيض هذه الاسباب واكثر الخلق اهلكهم حب المدح وكراهية الذم وتحملهم ذلك على المرايات
وفنون المحصدة وعلاج ذلك بان يتفكر في اللذة الاولى فان مدح بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال
وهي وهو سبب فوات كمال حقيقي فهو جدير بان تحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح
بكمال العلم والورع فينبغي ان يكون فرحه بوجود تلك الصفات وشكره يتدرق عليها لا يشكر
غيره هذا اذا كان متصفا به وان لم يكن متصفا به ففرحه به حماقة كفرح من يثني عليه غيره
ويقول ما اطيب العطر الذي في احانيك واحانيك وهو يعلم ما فيها من الاقذار والانتان
وهذا حال من يفرح من المدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم من باطن نفسه انه خال
عنه واما اللذة الثانية والثالثة وهو لذة الجاه عند المادح وغيره فعلاجه ما ذكرناه
في حب الجاه

الاصل السابع حب الدنيا واعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة

وليس الدنيا عبارة عن المال والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا والشهوتان
من شعبها وشعب الدنيا كثيرة ودنياك عبارة عن حالتك قبل الموت واخرتك عبارة عن حالتك

بعد الموت وكل ما لك فيه حظ قبل الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة والحرية وما يبقى معك بعد
الموت فانها ايضا دنيا عند اهل البصائر ولكنها ليست من الدنيا وان كان في الدنيا ولهذه
الحظوظ الدنيوية عافية حظ وتعلق بالعمل المتعلقة باصلاحها فهي ترجع الى العيان موجودة
والى حظك منها والى شغلك في اصلاحها اما الاعيان فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ومطعوب الادمي من الارض لما عليها
فالملكن والمحارث واما نباتها فللمتداوي والاقتيات واما معادنها فللمنقوح والاواني والآلات
واما حيوانها فللمركب والمأكل واما الادميون منها فللنكاح والاستخدام وقد جمع الله تعالى في قوله
زين للناس حب الشهوات من النساء الآية واما حظك منها فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى
فقال ونهى النفس عن الهوى وقال تعالى تفصيلا له انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد الآية وذلك يتدرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الكبر والغل والحسد
والرياء والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب الثناء وهي الدنيا الباطنة واما الاعيان هي الدنيا الظاهرة
واما شغلك في اصلاحها فهي جملة الحرف والصناعات التي الخلق مشغولون بها وقد نسوا
فيها انفسهم ومبدأهم ومعادهم لاستغراقهم بها واما شاغلهم العلاقتان فان علاقة
القلب بحب حظوظها وعلاقة البدن بشغل اصلاحها هذه هي حقيقة الدنيا التي حبها
راس كل خطيئة وانما جعلت للتزود منها الى الآخرة ولكن كثرة اشغالها وفنون شهواتها
انسى الحمقى سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها هممهم وكانوا كالحاج في البادية يشتغل
بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها فيتخلف عن الرفقة حتى تفوته الحج ويهلك بساع البادية

فصل هذه الدنيا المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الآخرة حتى من عرفها اذ يعرف

انها منزل من منازل السايرين الى الله تعالى وهي كرباط بنى على الطريق اعد فيه الخلق الزاد واسباب

السفر فمن تزود فيها للآخرة واقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس والمنكح

وساير الضرورات فقد ربح وبذر وسيحصد في الآخرة ما زرع ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها

هلك وامثال الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج

لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها فبادر بعضهم وقضى حاجته

ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقق بعضهم فنظر الى ازهار الجزيرة وانوارها

وطراين اشجارها وعجايب غياضها ونغمات طيورها فرجع الى السفينة فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا

واكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها فلم تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها

فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم تجد طاهما مكانا

فحملها على عنقه وهو ينوء باعبائه وتولى بعضهم الغياض ونسي المركب واشتغل بالتفرج في تلك

الازهار والتناول من تلك الثمار وهو في تفرج غير خال من خوف السباع والحذر من السقطات

والنكبات فلما رجع الى السفينة تم ابصاد منها فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام

هذه صورة اهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والآخرة فتاملها واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت

ذا بصيرة **فصل** من عرف نفسه وعرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة شاهد

بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ يستحيل قطعا ان لا سعادة في الآخرة الا لمن قدم

على الله عارفا محبا له فان المحبة لا تنال الا بدوام الذكر والمعرفة لا تنال الا بدوام الفكر

ولا يتفرغ لها الا من اعرض عن اشغال الدنيا ولا تستولي المعرفة والحب على القلب ما لم يفرغ من

من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله ضروري لاشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته ولن يتصور

ذلك الا لمعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة فان كنت من اهل البصيرة فقد

صرت من اهل الذوق والمشاهدة وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايمان وانظر الى

تحذير الله اياك بالكتاب والسنة وقد قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها

نوف اليهم اعمالهم الآية وقال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة الآية وقال عز

اسمه فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا الآية ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم اهلها وقد

قال النبي ص الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب

من المصدق بدار الخلود ويسعى لدار الغرور وقال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله

مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وقال عليه السلام ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض

اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وقال عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس

من الله في شيء والزم قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه وشغل لا يتفرغ منها ابدا وفقر لا يبلغ

غناه ابدا وامل لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا ابا هريرة الا ادلك على الدنيا جميعا فقلت نعم فاخذ بيدي الى مزبلة فيها عظام ناس وعذرات

وخرق وعظام وقال يا ابا هريرة هذه الروس كانت تحرص كحرصكم وتامل املكم ثم هي اليوم

عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم الكتبوها ثم قذفوها

من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم

هذا من الاخبار التي ظاهرها يوهم خلاف الحق وباطنها يعلم من له ادنى تحقيق انه لا يقصد ذمها من حيث انها مخلوقة لله تعالى

ولباسهم واصبحت الرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجبون عليها
اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك وقال عليه السلام ليجيئن اقوام يوم القيامة
اعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله او مصلين قال نعم كانوا يصلون
ويصومون ويأخذون هنا من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال عيسى عليه السلام
لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا عليه
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وقال عيسى يا معشر الحواريين ارضوا ببقي الدنيا
مع سلامة الدين كما يرضى اهل الدنيا ببقي الدين مع سلامة الدنيا وقال ايضا للحواريين لا تأكلوا خبز
الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وروي ان عيسى
عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة فقال لها كم تكحبت
الى لا احصيهم فقال يطلقونك او ماتوا عنك قالت لا بل قتلت كلهم قال عيسى بؤسا لازواجك الباقين
كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين فصل اعلم ان من ظن انه يملك الدنيا ببدنه وخلا عنها قلبه
فهو مغرور وقال عليه السلام مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء لا يستطيع الذي يمشي في الماء الا يبتل قدماه
وكتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض
عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اشد ما تكون
حذرا ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنها بمكروهه وقال عيسى عليه السلام
مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله واعلم ان من
اطمأن الى الدنيا وهو يتيقن انه راحل عنها فهو في غاية الحماقة بل مثل الدنيا مثل دار هيأتها

صاحبها وزينتها لضيافة الواردين والصادرين فدخل واحد داره فقدم اليه
طبقا من ذهب عليه خرز ورياحين ليشمه ويترك الطبق لمن يلحقه لانه لا يملكه فجهل
رسمه فظن انه وهب ذلك له فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان
عالما برسمه انتفع به وشكره ورد الطبق بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك سنة الله
في الدنيا فانها دار ضيافة على المختارين لاعمال المقيمين ليتزودوا منها ينتفعون بها
كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق للقلب به

الاصل الثامن الكبر

قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال الله تعالى
في بئس مثوى المتكبرين وقال النبي عليه السلام قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن
نازعني فيهما قصمته وقال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال عليه السلام
يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله عز وجل
وقال عليه السلام لبلال في جهنم واد يقال له هبهب حق على الله عز وجل ان يسكنه كل جبار فيا بلال
يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر وقال عليه السلام لا ينظر الله
الى من جر ثوبه خيلاء وقال عليه السلام لا ينظر الله يوم القيمة من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تعالى
وهو عليه غضبان وقال عليه السلام في فضيلة التواضع ما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا وما تواضع
احد لله الا رفعه الله تعالى وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة واوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله
انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري
وكف نفسه عن الشهوات وقال نبينا عليه السلام التواضع ان يرفع العبد الله الى السماء السابعة وقال عليه السلام

ان التواضع لا يريد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وقال عليه السلام ليعجبني ان يحمل الرجل
الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه **وصل** حقيقة الكبر ان
يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل فيه نخوة وهزة من هذه الرذيلة والعقيدة
ولذلك قال النبي عليه السلام اعوذ بالله من نفخة الكبر ولذلك استأذن بعضهم عمر رضي الله عنه ليبصق
الناس بعد الصبح فقال لا احتى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا ثم هذه النفخة يصدر منها افعال
على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم في الطرق والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ
بالسلام وقصر في حوائجه وتعظيمه وعجلة على ان يأنف اذا وعظ ويعنف اذا وعظ
وعلم ويجد الحداة اذا نظر وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير وانما عظم الكبر حتى لا يدخل
الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه لان تحته ثلثمائة انواع من الخبائث العظيمة اقطعها انه منازعة
الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء رداؤه كما قال فان العظمة لا يليق الا به فمن اين تليق
العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا عن امر غيره الثانية
انه يحمل على جحد الحق وازدراء الخلق قال النبي عليه السلام في بيان الكبر الكبر من سفه الحق وغمص
الناس والانفة من الحق تخلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق قال بعضهم ان الله تعالى
خبأ ثلاثا في ثلاث خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضا الله فيه وخبأ
سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا منها لعل سخط الله فيه وخبأ ولايته
في عباده فلا تحقرن احدا منهم فلعله ولي الله الثالثة انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق
المحمودة لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك

الاستهزاء والحسد والغضب وله يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في النصيحة وعلى ترك الرياء بالجملة
فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه وله خلق محمود الا ويضطر الى تركه فصل
العلاج المجمل لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة
قذرة وهو بينهما يحمل العذرة ويفهم قوله فاعتبر الانسان ما اكفره من اي شيء
خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره فليعلم انه خلق من كتم العدم
فانه لم يكن شيئا مذكورا ولا شيء اقل من العدم ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم علقة ثم
مضغة ليس له سمع ولا بصر ولا حيوة ولا قوة ثم خلق ذاكرا كله وهو بعد عاجز غاية النقصان
يستولي عليه الامراض والعلل ويتضاد فيه الطبائع فيهدم بعضها بعضا فيمرض
كرها ويعطش كرها يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى الشيء فيذكره ويكره الشيء ويشتهيه
ويشتهي الشيء ويضره ولا يأمن في لحظة من ان يختلس روحه او عقله او صحته او عضو
من اعضائه ثم اخره الموت والتعرض للعقاب والحساب فان كان من اهل النار فالحذر خير منه
فمن اين يليق به الكبر وهو عبد مملوك خليق لا يقدر على شيء قال الحسن البصري لبعض من يتبختر في
مشيته ما هذه مشية تنبي بطنك الخراء وكيف يليق الكبر بمن يخرج القذرة في كل يوم مرتين وهو حامل
طعامه على الدوام **فصل** علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى اسبابه التكبر وهو اربع خصال الاول
العلم قال النبي عليه السلام آفة العلم الخيلاء وقال عليه السلام لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يبقى علمكم
بجهلكم وقل ما يخلو العالم عن آفة الكبر يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف
فضيلة عند الله فيتكبر تارة في الدين بان يرى نفسه عند الله تعالى افضل من غيره وتارة في الدنيا

بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب منهم ان لم يتواضعوا له وهذا بان يسمى جاهلا اولى لان العلم
الحقيقي ما يعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله تعالى عليه ويلاحظ الخاتمة فلا يرى جهلا
الا ويقول انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم وحجة الله تعالى اوكد قال ابو الدرداء رضي الله عنه
من ازداد علما ازداد وجعا وقال لقمان لابنه علما واحفظ جنانك لمن اتهمك من المؤمنين وقال
عليه السلام يكون قوم يقرؤون القرآن فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن
اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت وقال اوليس فيكم ايها الامة اوليس فيكم وقود النار ومن هذا اشتد
حذر السلف حتى انه صلى حذيفة رضي الله عنه مرة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري
اولتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني وينبغي ان يتذكر الانسان
انه كم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره ثم كانت خاتمة عمر كما كانت
ثم كانت خاتمة عمر كما كانت وذلك مما لعله ارتد والعياذ بالله بجده وكان المتكبر من اهل النار
والمتكبر عليه من اهل الجنة وما من عالم الا ويتصور ان يختم له بالسوء والجاهل بالسعادة
فكيف يكون التكبر مع معرفة ذلك وقد قال عليه السلام يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار
فتندلق اقتابه فتدور به كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار ويقولون يا فلان
كنت تأمر بالخير وتأتيه وتنهى عن الشر فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه فاي عالم يسلم عن ذلك فلم لا يشغله خوفه عن التكبر
وقد قال الله تعالى في بلعام بن باعور وهو من اكابر العلماء فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث الآية لانه اخلد الى الشهوات وقال تعالى في علماء اليهود كمثل الحمار يحمل اسفارا
فلينظر في الاخبار التي وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره وانما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل

بعلوم غير نافعة في الدين كالجدل واللغة وغيرهما او من اشتغل بالعلم وترك خبث الباطن فازداد
خبثه بسبب السبب الثاني الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد في باطنه عن كبر وقد ينتهي
الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصائب الناس ومظالمهم على كرامته فمن آذاه ومات او مرض
قال قد رأيتم ما فعل الله تعالى به وربما يقول عند الايذاء سترون ما يجري عليه وليس يدري
الاحمق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء وآذوهم ثم ماتوا في الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما
اسلم بعضهم فسعد في الدنيا والآخرة فكيف يدري نفسه افضل من الانبياء عليهم السلام وموذيه
اخس من الكفار وحال العابد اذا نظر الى العالم يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق فيقول العلم فيه
خلقا باطنا يستر معاصيه الظاهرة والعلم باطلع حدا او رياء او خبثا خفيا مقتني
الله تعالى عليه فلا يقبل اعمالي الظاهرة فان الله تعالى ينظر الى القلوب والى الصور ومن خبث الباطن
الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده جلس الى عابد
بني اسرائيل وقال لعل الله يرحمني ببركته فقال العابد في نفسه كيف يجلس معي مثل هذا الفاسق
وقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه مره ليستأنف العمل فقد غفرت للخليع
واحبطت عمال العابد وروي ان رجلا وطئ رقبة عابد من بني اسرائيل وهو ساجد
فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه اياها ان يقسم علي بل لا يغفر الله لك فالاكياس
يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقوله عطاء السلمي رحمه الله شدة ورعه كان اذا هبت
ريح او صاعقة يقول ما يصيب الناس كل ذلك الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وقال
بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر كم بين من يخاف العمل والورع

ثم يخاف على نفسه وبين من يتكلن اعمالا ظاهرة لعلها لا تخلوا عن الرياء والآفات ثم عن
على الله تعالى بعمله السبب الثالث الكبر بالنسب وعلاجه ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة
قذرة وجده التراب ولا اقذر من النطفة ولا اذل من التراب ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال
غيره ولو نطق اباؤه لقالوا من انت في نفسك وما انت الا دودة من بول من له خصلة حسنة
وانما لك ان تفتخر بآبائك ذوي نسب لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا وكيف يتكبر بنسب ذوي
الدنيا ولعلهم صاروا حممة في النار يوقدون لو كانوا حناذير وكلابا وقد اصوا بهائم فيه
فكيف يتكبر بنسب اهل الدين فهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين ومن الدين التواضع
وكان يقول اصدم ليتني كنت تبنة وليتني كنت طاينا لهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر
مع عظم علمهم وعملهم فكيف يتكبر نسبهم من هو عاطل عن خصالهم السبب الرابع
الكبر بالمال والجمال والاتباع والكبر بهم جهل فانها امور خارجة عن الذات اعني بالمال والاتباع
وكيف يتكبر بخصلة تمتد اليها يد السارق والغاصب وكيف يتفخر بالجمال وهي شيء يفسده
الجدري يزيله بكل ولو تفكر الجميل في اقذار باطنه لاده شغله ذلك عن تزويق ظاهره ولو لم
يتعهد الجميل بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقذر من الجيفة من تغير النكهة
والصنان ورائحة العذرة وكراهية الوسخ والمخاط والقمص فمن اين للمزبلة ان يتفخر بجمالها
والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسات الاصل التاسع العجب قال الله تعالى
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال النبي عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء

بنفسه

بنفسه وقال ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان القانط لا يطلب
السعادة لقنوطه والمعجب لا يطلب السعادة لظنه انه ظفر بها وقال عليه السلام لو لا تذنبوا لخفت عليكم
ما هو اعظم من ذلك العجب والعجب وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن
انه محسن ونظر رجل الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلوة ويحسن العبادة فلما فرغ
قال لا يغرنك ما ابيت منه فان ابليس عبد الله الاف من السنين ثم صار آليه وصل
حقيقة العجب استعظام النعم وخطرها التي هي من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها
الى المنعم والامن من زوالها فان اضاف اليه ان رأى نفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك اعجابا والا
وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق رأسه وعلامة ادلاله ان يتعجب من رد دعائه و
ويتعجب من استقامة حال من يؤذيه والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا
عليه والعجب يتصور على الانفراد واما من رأى نعمة الله على نفسه بعمل وعلم او غيره وهو
خائف عازله وفرح بنعمة الله تعالى من حيث انه من الله فليس معجبا بل المعجب ان يرى من
ونسي الاضافة الى المنعم وصل العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه اذا ان
اعجب بقوة وجمال او امر ليس يتعلق باختياره فهو جهل ايضا اذ ليس ذلك اليه وينبغي
ان يتعجب ممن اعطاه ذلك من غير استحقاق وينبغي ان يتفكر في ان زوال ذلك المخوف على القرب
بادي مرض وضعف وان اعجب بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر
في تلك الاعمال بما اذا يتسر لها وانه لا يتسر الا بعضو وقدرة وارادة ومعرفة وان
جميع ذلك من خلق الله واذا خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي وصرف الصوارف

بنفسه

كما قال الله فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة قال الله تعالى نستدرجهم
من حيث لا يعلمون واصل العاشر في الرياء قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله الآية وقال الله تعالى
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية اراد به الاخلاص وقال النبي عليه السلام
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة
اذا جازى باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال عليه
في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق اما قال فعلتك الذبت كنت اردت
ان يقال فلان عالم او شجاع او جواد فقد قيل به الى النار وقال عليه السلام استعيذوا بالله
من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقد قال الله تعالى من عمل
لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عليه
لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من الرياء وقال عليه السلام ان اخوف الرياء الشرك وقال عيسى
عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى
الناس انه صايم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا اصلى فليرخ ستر بابه فان الله تعالى
يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال عمر رضي الله عنه لرجل طاطأ طاطر رقبته يا صاحب الرقبة
ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان المرائي
ينادى يوم القيمة بار بع اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك
ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال قتادة رحمه الله اذا دعا العبد يقول الله تعالى انظروا كيف

كان حصول الفعل ضروريا وليس للمضطر ان يجب بما يحصل منه اضطرارا وهو مضطر الى الاجابة عبد
فانه يفعل ان شاء ولكن ان يشاء الله شاء اولم يشأ لم يخلق فيه المشيئة قال الله تعالى وما تشاؤن
الا ان يشاء الله فمفتاح العمل الجزم بالمشيئة وانصراف الدواعي الصارفة مع كمال القدرة
والاعضاء وتذكر ذلك بيد الله تعالى ايات لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك فاخذت منها
اموالا اتتعجب بجوده اذا اعطاك المفتاح بغير استحقاق او بكمال كرمه اذا اخذ واي كمال في الاخذ بعد التمكن وصل من العجايب ان تعجب ادنى عقل بعلمه
او عقله حتى يتعجب افقره الله تعالى واغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة على جاهل وضيق
فيقال له كيف رزقه الله العلم والعقل وحرم الجاهل فهذه العطية منه افتجعلها سببا لاستحقاق
عطية اخرى بل لو جمع الكل بين العقل والغنى وحرم الجاهل عنها جميعا كان
ذلك اولى بالتعجب وما تعجب العاقل منه الا تعجب من اعطاء الملك فرسا ثم اعطى غيره غلاما
فيقول كيف يعطي الغلام لفلان والفرس له ويحرمني وانا صاحب الفرس وانما صار
بعطاء الفرس اولى فيجعل عطاءه سببا لاستحقاق عطاء آخر وما هو عين الجهل بل العاقل يكون
ابدا متعجبا من فضل الله وجوده حيث اعطاء العقل والعلم ووفقه للعبادة من غير تقدم تقديم
استحقاق منه وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه بصرف دواعي
الخير عنه وذلك بغير سابقة منه واذا شاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف فقد يقول
قد انعم الله علي في الدنيا من غير وسيلة وخصني به من غير سبب فيوشك ان يعذبني ويسلب
النعم ايضا بغير جناية وسبب فاذا اصبح ان كان ما افاض علي من النعم مكرا واستدراجا

نفعة ح

ان يحذف تقديما ثانية

يتهزى ح وقال الحسن صحبت اقواما ان كان احدهم ليعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته
ونفعت اصحابه وما يمنعه الا الشهرة **وصل** حقيقة الرياء طلب المنزلة فى قلوب الناس
بالعبادات واعمال الخير وما يرائى به ستة اصناف الاول الرياء من جهة البدن وهو اظهار
النحول والصفار ليظن به السهر والصيام واظهار الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام
ليظهره ح
بامر الدين واظهار شعث الشعر ليظن به انه لشدة استغراقه بالدين ليد يتفرغ
لنفسه واظهار ذبول الشفتين ليستدل به على صومه وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه
من شدة المجاهدة الثانى الرياء بالهيئة كخلق الشارب واطراق الراس فى المشى والهدوء
فى الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وتغميض العينين ليظن به انه فى الوجد والمكاشفة او غايض
فى الفكر الثالث الرياء فى الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصير الى قريب
من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب محرقا ووسخ ليظن انه مستغرق الوقت فارغ
له ولبس المرقعة والسجادة ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف ولبس
الدراعة والطيلسان وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنع فوق العمامة باذار ولبس الخفاف
كالرواد
ليظن انه متقشف لشدة ورعه من غبار الطريق ثم منهم من يطلب المنزلة فى قلوب اهل الصلاح صلة الوجه الوجه
فيلازم الثوب الخاق ولو كلف لبس ثوب جديد حسن مما يباح فى الشرع ولبسه استغنى لكان عنده
كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس قد بذاله من الزهد ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين بالتجاد
ولو لبس خلقا ان الثوب لان جروه ولو لبس فاخر الثياب لم يعتقدوا زهده فيطلب المرقعة
المصبوغة والغواطة الرقيقة والاصواف الرقيقة فيكون ثيابهم فى القيمة والنفاسة كثياب الاغنياء
الوفيعة ح

وفى اللون والهيئة كثياب الصلحاء ولو كلفوا ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة عن
السقوط عن اعين الاغنياء ولو كلفوا لبس الخز والقصى والديبقى وما يباح لبسه وقيمته دون
قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا عن سقوط منزلتهم عن قلب الصلحاء اذ يقولون بدا له من الزهد
الرابع الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة
والاخبار وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلوة حقيقة الصدق والاخلاص
فى الباطن ليظن به ذلك وكالدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث انه صحيح
او سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين بالذكر والامر بالمعروف يشهد الناس مع خلو
القلب عن التفجع بالمعصية وكاظهار الخضوع والاسف على المنكرات والحرص على العلم مع خلو القلب عن التاثر
بها الخامس الرياء بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق الرايس وقلة الالتفات
والتصدق والصوم والحج والاخبات فى المشى والخفاء الجفون مع ان الله يعلم من باطنه انه
لو كان خاليا لما فعل شيئا من ذلك بل تساهل فى الصلوة وتسرع فى المشى فاذا شعر باطلاع غيره
يعود الى التكينة التى يظن به الخشوع السادس الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ
ليظن انه لقى شيوخا كثيرة ولكن يحتال بزورة العلماء والسلاطين ليقال انه ممن يتبرك به فهذه مجامع
ما يراءى به فى الدين وكل ذلك حرام بل هو من الكبايروانما طلب المنزلة فى قلوب الناس بافعال ليست
من العبادات والا واعمال الدين فليست حراما ما لم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه فى طلب الجاه فاهل
الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم الطب
والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال والاحوال وما يحرم ذكره ما منه ينتهى الى الايذاء بالكلب
والى اخلاق اخرى مذمومة وانما استقصينا اقسام ما به الرياء لانه اغلب الاخلاق الذميمة على
النفوس ومن لا يحترف الشر ومواقعه لا يمكنه ان يتقيه **وصل** الرياء على درجات احديها

وقد يفعل ذلك صح فى المشى الاصحاب ح

الرياء على درجات خبيثة منها ان يلبس فى الملا غير خ

ان لا يكون بالامور الدنيوية والعبادات كالذي يتلبس عند الخروج شيئا بالحسنة خلاف ما يليق بالخلوة وكالذي
ينفق الضيافات على الاغنياء باموال الايتقد انه سخي لا يعتقد انه ورع صالح فذلك ليس بحرام
فان تملك القلوب كتملك الاموال نعم القليل منه صالح نافع والكثير منه يلهي عن ذكر الله كالكثير من المال
ومهما اضطرت الامة الى سعة من الجاه فيجر ذلك الى الغفلة والمعاصي فيكون محذورا لذكر لا للنفع واما
اظهار الشمايل التي ذكرناها ليعتقد الناس فيه الدين والورع حرام لشيئين احدهما انه تلبيس فان
اراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله محب له ومن همته النية فاسق ممقوت عند الله ولو سلم
الرجل الى جماعة دراهم يحتمل اليهم انه يجود عليهم بها واما هي دون لازمة عصى به لتلبيسه وان لم يطلب
به ان يعتقد صلاحه لان ملك القلوب بالتلبيس حرام الثاني انه اذا قصد بعبادة الله خلق
الله فهو مسترق ومن وقف بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة
عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه بالملك فكانه اذا
قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد ان لعباد الله اقدر على نفعه وضره من الله تع اذ عظمة
العباد في قلبه دعاه الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله ولهذا سمي الرياء الشرك الاصغر يزداد الاثم
بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه ومنهم من يطلب ان يودع
الودايع ويتولى الاوقاف ومال الايتام ليختزل وذلك اخبث اعماله ومنهم من يرائي ليقصد اليه
النسوة والصبيان ليتمكن من الفجور او ليكثر عنده المال ليصرفه الى الخمر والملاهي وهذا من اعظم
اذ جعل عبادة الله تع وسيلة الى مخالفته والعياذ بالله **فصل** كما يعظم الرياء يتفاوت
اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه فيتعظم ايضا بما به المراياة وبقوة قصد الرياء اما ما به
المراياة فهي على ثلثة درجات اغلظها ان يرائي باصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم ولم يسلم
بقلبه وكالملحد معتقد الاباحة يظهر انه مستديم الاسلام وقد انسلخ منه باطنا الثانية

الرياء باصل العبادة كمن يصلي ويخرج الزكوة بين يدي الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه
لم يفعل ذلك الثالثة وهي ادناها ان لا يراي بالفرايض بل بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن
هيئة الفريضة ويخرج الزكوة من اجود ماله او يتهجد ويصوم يوم عرفة وعاشوراء والله يعلم
من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك وهذا ايضا حرام وان كان لا ينتهي بشدة العقوبة فيه
الى حد الرياء بالاصول واما تغليظه بدرجات القصد اعني انه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلي
مثلا على غير طهارة لاجل الناس ويصوم ولو خلا بنفسه لافطر وقد ينضاف اليه قصد العبادة ايضا
وله ثلاث احوال احدها ان يكون العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره ومشاهدته
نشاطا وحث عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحبط ذلك القدر عمله بل ينقص عبادته ويثاب عليها
ويعاقب على قصد الرياء او ينقص من ثوابه الثانية ان يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو
لم يرائي الناس لما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا يصح عبادته والقصد الضعيف لا يبقى
عند شدة الباعث الثالثة ان يتساوى القصدان بحيث يستقل كل واحد بالحمل لو انفرد ولا ينبعث
للفعل بجملتهما بل بمجموعهما فهذا قد اصلح شيئا وافسد مثله فالغالب انه لا يسلم ثواب البر ويحتمل
ان يقال اذا تساوى القصدان فاحدهما كفارة للآخر وقولهم ان اغنى الاغنياء عن شرك يدل على انه
لا يقبل ولا يثيبه عليه اما انه يعاقبه عليه فبعيد نظرا الى غلبة عفو الله والله عند الله انه لا يخلو عن اثم
وعقاب فصل اعلم ان بعض الرياء جلي وبعضها اخفى من دبيب النمل اما الجلي فما يبعث
على العمل حتى لو لم يكن لم يرغب في العمل واخفى منه ان لا يستقل بالحمل عليه ولكن يحقق العمل ويزيد
في نشاطه كالذي يتهجد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زاد نشاطه واخفى منه ان لا يزيد نشاطه
ولكن لو اطلع عليه غيره عد تهجده قبل فراغه وبعده فرح به ووجد في نفسه هزة وذلك يدل على ان
الرياء الخفي متكمن في باطن الفواد استكمان النار تحت الرماد حتى حتى ترشح منه السرور عند

الاطلاع وقد كان غافلا عنه قبله واخشى ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدا بالسلام ويوقر ويبجل
ممن يسئ اليه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه وذلك يدل على انه ممن على الناس فكانه يتوقع
احترامهم وتوقيرهم لعبادته مع اخفاء عنهم ومثال هذه الخفايا لا يخلو عنها الاصديقون وجميع
ذلك اثم ويخاف منه احباط العمل نعم لا بأس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله تعالى من حيث اظهر
منه الجميل وستر منه القبيح مع انه قصد ستر هما جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح لانه يبشره
بانه حيث احسن صنعه به في الدنيا فكذلك يصنع به في الآخرة او يفرح ليقتدي به من يراه او يطيع الله تعالى
له عليه وعلامة هذا ان يفرح ايضا اذا اطلع على غيره ممن يرجى قدوته ومن اجل اخفاء ابواب
الرياء وشدة استيلائه على الباطن احتاط واحترز اولو الحزم فاخفوا عبادتهم وجاهدوا
انفسهم وقد قال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم في السعر
او لم تكونوا تبدأون بالسلام الم تكن تقضى عليكم الحوائج لاجركم فقد استوفيتم اجوركم فاجتهد
ان اردت الخلاص ان يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم
وعدمهم وعلمهم به وغفلتهم عنه وتقنع بعلم الله تعالى وحده وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص
لا تحزن عن فايدته في اخرج او قائدة اليه فصل لعلك تقول ليت شعري اقدر على انكار الرياء الخفي
كما وصفته وان قدرت على الرياء الجلي لم ينعقد عبادتي معه فاعلم ان وارد الرياء لا يخلو اما ان
يرد مع اول العقد او في اثنائه او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده ان صادف
باعثا موثرا في الحمل على العمل بل الاولى العقد بحيث ان يكون خاليا واما يبطل بالرياء الباعث على اصل
العمل واما اذا لم يحمل الا على المبادرة في اول الوقت مثلا فباطن العلم عند الله تعالى ان اصل الصلوة يصح
وانما يفوته فضيلة المبادرة ويعصي بقصد المراءاة ولكن يسقط الفرض عنه واما يرد في اثناء الصلوة
ان ابطل باعث الصلوة فيبطل صلوته مثاله ان يخطر في اثناء الصلوة نظارة ويتذكر نسيان شيء اولا خلا
لقطع

58

لقطع الصلوة لكنه اتم حياء من الناس فهذا لا يسقط الفرض عنه لان النية قد انقطعت
وانقطع باعث العبادة اما اذا لم ينقطع نيته لكن صار مغلوبا كما لو حضر قوم
فغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانهمر باعث العبادة فغالب الظن انه ان انقضى ركن ولم
يعاوده الباعث الاصلي فسدت صلوته لانا نستصحب نية البداية بشرط ان
ان لا يطرأ ما لو قارن ابتداءها منع وان لم ينهمر باعث العبادة لكن حصل مجرد سرور
يوثر في العمل بالتحسين الصلوة فقط فغالب الظن ان الصلوة لا تفسد ويتادى الفرض
واما ما يطرأ بعد الصلوة من ذكر وسرور ومراءاة به فلا يخطف على ما مضى ولكن يحصى
به رياء ثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره ومهما ظهرت له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح
واما بالتعريض فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه فصل اذا عرفت حقيقة
الرياء وكثرة مداخله فعليك بالتشمر لمعالجته وعلاجه ما تقدم في علاج الجاه وان تعلم وهي
انه كمال وهي لا حقيقة له وعلاجي دفع الاسباب الباعثة عليه وهي ثلثة حب المدح وخوف
الذم والطمع واما حب المدح لمن هو مجمع على صفة القتال ليقال انه شجاع او يظهر العبادات له
ليقال انه ورع وفي علاجه ما ذكرناه ما تقدم في علاج حب الجاه وعلم ان تعلم انه كمال وهي لا
حقيقة له وعلاجه في الرياء خاصة ان يقرر على نفسه ما فيه من الضرر فان العمل وان كان
لزيدا فاذا علم ان فيه سهما سهل تركه فليقرر على نفسه انه يقال له في يوم فقره بسبب
رياءه فاجر يا غاوي استهزيت بالله وراقبت العباد وتحببت اليهم واشتريت
حمدهم بذم الله وطلبت رضاهم بسخطه اما كان احرا ان هون عليك من الله تعالى فلم لم يكن
الاهل الحزي والخجلة تمسكا في المنع منه كيف وقد انضم اليه العقوبة واحباط العبادة
وانه ربما يتمحض به كفة السيئات بحيث ان قارنت كفة الحسنات فيكون سببا لهلاكه فليقرر

عن نفسه ان رضا الناس غاية لا يدرك ومن طلب رضا الناس سخط الله اسخطهم الله عليه
فكيف يترك رضا الله بما لا يطمع في حصوله واما الباعث الثاني الخوف من ذمهم فيقول على نفسه
ان فقهم لن يضره ان كان محمودا عند الله تعالى فلم يتعرض لذم الله ومقته خوفا من ذم الخلق و
وكيف ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء لمقتوه ويأبى الله الا ان يكشف سره حتى
يعرفه فيمقته الناس ايضا بعد ان مقته الله تعالى ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد
نظره الى الله تعالى لكشف الله تعالى لهم اخلاصه له واحبوه والباعث الثالث وهو الطمع فيدفعه بان يعلم
ان ذلك امر موهوم وفوات رضا الله تعالى امر متيقن ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع في
الخلق لم يخل عن الذل والمهانة والمنة ومن اعرض عن الطمع في الخلق كفاه الله تعالى وسخر له القلوب فاذا
احضر في قلبه نعيم الاخرة وللدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض قلبه عن الخلق
واجتمع همه وفاض عليه انوار الاخلاص وامده الله تعالى بمعونته وتوفيقه **وصل**
لعلك تقول الى قررت هذا كله على نفسي ونفرت عن الرياء قلبي ولكن تهاجم علي وارد الرياء بغتة
في بعض العبادات عند اطلاع الخلق فما العلاج عنه عند هجومه فاعلم ان اصل هذا العلاج ان تخفي
عبادتك كما تخفي فواحشك ففيه السلامة وذكر بعض اصحاب ابي حفص الحداد رحمه الله الدنيا
واطلبها فقال له اظهر ما كان سبيلك ان تخفيه لتجالسنا بعد هذا واخفاء العبادة انما
يشق في البداية فاذا صار عادة الف الطبع لذة المناجاة في الخلوة ومهما هجم وارد الرياء فعلاجه
ان تجرد على قلبك مرارة ما سبق فيه من قبل من المعرفة في التعرض لمقت الله تعالى مع عجز الناس عن منفعتك
ومضرتك حتى تنبعث منه كراهية لداعية الرياء ثم الشهوة تدعو الى اجابة الرياء بتحسين
العمل والفرح به والكراهية تدعو الى رده والاعراض عنه وتكون الكراهية اقوى فان قويت
الكراهية حتى تنفك من الركون فيه واستصحبت حالة التي كنت عليها فلم يزد ولم ينقص

ولم يتكلف اظهار اليه الفعل وايثاره فقد اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر من ذلك فاما دفع
الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى قول الناس لا يدخل تحت التكليف وانما يمتنع التكليف الكراهية
والاباء عن اجابة الداعية **وصل** يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم
اذا صحت النية ولم يكن معه شهوة خفية وعلامته ان يقدر ان الناس لو اقتدوا باحد
اقرانه وكفى مؤنة الترغيب واخبر بان اجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار
فان كان ميله الى ان يكون الى المقتدى به ففيه داعية الرياء لانه ان كان يطلب سعادة الناس
وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته الا اظهار نفسه وكذلك يجوز الكتمان كتمان الحامي
والذنوب ولكن بشرط ان يكون غرضه ان لا يعتقد فيه الورع بل لا يعتقد فيه الفسق والاباس
بفرحه باستتار معاصيه وحزنه بانكشافها اما فرحا بستر الله تعالى عليه واما
فرحا بموافقة الله تعالى فان الله يحب كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة بها واما فرحا
لانه يكره ان يذم فيستالم بذم الناس ليس بحرام بل هو موجب الطبع وانما الحرام شدة الفرح
بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك كما جر رياء خذه عن العبادة واما لانه يخاف ان
يقصد بسوء اذا عرفت معصيته واما لانه يستحي من ظهورها والحياء غير الرياء لكن قد
يمتزج به واما ترك الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له قال الفضيل رضي الله عنه الرياء ترك
العمل خوفا من الرياء اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل ينبغي ان يعمل ويخلص الا اذا كان
العمل مما يتعلق بالخلق كالقضاء والامامة والوعظ فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض
فيه لا يملك نفسه بل يميل الى الجاه ويراعي الهوى فيجب عليه الاعراض والهرب كذلك فعل جماعة
من السلف واما الصلوة والصدقة فلا يتركهما الا اذا تحضره اصلا نية العبادة
بل تجرد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه اما ما اعتاد فعله فحضره جماعة فخاف على نفسه

الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل ينبغي ان يستمر على عادته ويجتهد في دفع باعث الرياء خاتمة في مجامع
الاخلاق ومواقع الخروج فيها اعلم ان الاخلاق الذميمة كثيرة ولكن يرجع اصولها الى ما ذكرناه ولا
يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تزكي عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذاك يدعو الى البقية
لان بعضها يرتبط بالبعض ويتقاضى بعضه الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال بالصحة المطلقة كما ان الحسن لا يحصل
بحسن بعض الاعضاء ما لم يحسن جميع الاطراف والنجاة في حسن الخلق وقال النبي عليه السلام اثقل ما يوضع
في الميزان خلق حسن وقال عليه السلام بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقيل لهما الدين فقال عليه السلام الخلق
الحسن وقال عليه السلام افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وقد كثرت
الاقاويل في تحقيقه وبيان حده والاكثرون تعرضوا لبعضه ثم اتى ولم يحيطوا بجميع تفصيله والذي
يطلعك على حقيقته ان تعلم ان الخلق والخلق عبارتان فرق بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك بالبصيرة ومن روح ونفس يدرك
بالبصيرة لا بالبصر ولكل واحد منهما هيئة اما قبيحة واما حسنة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم
قدرا ولذلك اضافه الله تعالى الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي ووصف الروح بامر ربانى فقال قل الروح من امر ربي واعني بالروح والنفس ههنا
معنى واحدا وهو الجوهر العارف المدرك من الانسان باي اقسام الله تعالى كما قال وتقدم وما سواها فالهمها
فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دساها وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين
والانف والفم والخد لا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فذلك الصورة الباطنة لها
اركان لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي اربعة معان قوة العلم وقوة الغضب
وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث فاذا استوت هذه الاركان الاربعة واعتدلت

وتناسقت حصل حسن الخلق واما قوة العلم فاعتدالها وحسنها ان تصير بحيث يدرك بها
الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الاعمال فاذا
انحصلت هذه القوة كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي راس الفضايل قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب واما قوة الغضب فاعتدالها ان تحصل
انقباضها وانبساطها على موجب اشارة الحكمة والشرع وكذلك قوة الشهوة واما قوة العدل
فهي في ضبط قوة الغضب وقوة الشهوة تحت اشارة الدين والعقل فالعقل بمنزلة الناصح
وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ المضي لاشارة العقل والغضب والشهوة وهما
اللذان تنفذ فيهما وهما كالكلب والفرس للصياد فان حسن بعض كالحسن بعض اعضاء
الوجه فلا يطلق اسم الحسن به واذا حسن الجميع واعتدلت فاذا حسنت واعتدلت انشعب
منه جميع الاخلاق واما قوة الغضب فبعتدالها بالشجاعة والله يحب الشجاعة وان
مالت الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مالت الى النقصان تسمى جبنا وينشعب من اعتدالها
خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم الغضب الغيظ والوقار والتؤدة واما
اطراف افراطها فيحصل منه خلق التهور والصلف والتبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها
فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة وضعف الحمية على الاهل وصغر النفس
واما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره وعن تفريطها بضعفها
بالخمود فيصدر عن العفة السخاء والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع والمساعدة
والظرف وقلة الطمع ويصدر عن افراطها الحرص والشره والوقاحة والتبذير والتقتير والرياء
والهتكة والمجانة والملق والحسد والشهامة والتذلل للاغنياء والاستحقار للفقراء وغير
ذلك واما قوة العقل فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي

واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا آفات النفوس واما اوساطها فيحصل عند الجربزة والدهاء
والمكر والخلاع ويحصل من تفريطه وضعفه البلة والحمق والغمارة والبلادة والانخلاع فهذه هي
روابط الاخلاق وانما منشأ حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور اوساطها
وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال الله تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط فبعدم يكمل حسن الخلق
فصل طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة ونعني بالمجاهدة ان تكلف
الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها فيعمل بنقيض موجبها فان غلب البخل فلا يزال
تتكلف البذل بالجهد وتداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل في محله وان غلب التبذير
فلا يزال تتكلف الامساك في محله وكذلك في خلق الكبر
وسائر الاخلاق وقد ذكرنا ذلك في كتاب رياضة النفوس على التفصيل وينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا
تكلفا فليس بسخي وان من يتواضع تكلفا هو ثقيل على نفسه وهو عاطل عن خلق التواضع فجمال الخلق
عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير روية وتكلف وطريق تحصيل الخلق
فانه لا يزال يتكلف اولا حتى يصير ذلك طبعا وعادة فيفهم من هذا ان البخيل قد يبذل وان السخي قد يمسك
فلا تنظر الى الفعل بل الى الهيئة التي يصدر عنها الافعال بيسر من غير تكلف واعلم ان تفاوت
الناس في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولن يسلم الحسن المطلق الا على النذور وانما
سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه حتى اثنا الله تعالى عليه فقال عليه وانك لعلى خلق عظيم وليست النجاة موقوفة على
الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن اكثر فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت والحسن المطلق
معشوق وما بينهما درجات فالقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق

فصل في ضبط اوساطها وضعفها البلة

بالجهد

فكذلك يتفاوت سعادة الآخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة فصل اعلم انك قد تظن
بنفسك حسن الخلق وانت غافل عنه فاياك ان تغتر ولكن ان تحكم فيه غيرك وتسأل عنه صديقا
بصيرا يهديك بالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق واشكل ان يكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتخلق بالغير
فينبغي ان تظهر لهم ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان تغضب وتظن انك تغضب لله وتظهر الحمية وتظن انك
تظهر للاقتداء او تكف عن الاكل او عن طلب الدنيا وتكظم الغيظ وانما هو تعزز عليك ذلك فان تعرف به فيكون
الرياء هو الباعث على الجميع وكذلك يكثر مواقع الغرور فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور فان هذا الكتاب لا يحتمل استقصاء
فصل ينبغي ان تفقد هذه الاخلاق من قلبك فتبدأ بالاهم فالاهم فتقبل على اغلب هذه الصفات فتكسرها
كما فتكسرها على التدريج فاظن ان الغلب عليك حب الدنيا وسائر المعاصي والاخلاق الذميمة تتبعها فلا
يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان تطلب خلوة خالية وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك عن الآخرة
فلا تجد له سببا الا محض الجهل والغفلة فان اقصى عمرك في الدنيا مائة سنة فهب ان مملكة وجه الارض كلها
لك من المشرق الى المغرب في مائة سنة اليس تفوتك هذه المملكة في مدة لا آخر لها وهي مملكة الآخرة فان كان لا يرضيك
ذلك لطول الابد فقدر الدنيا كلها مملوءة ذرا وقدر طائرا ياخذ في كل الوف سنة حبة واحدة فيفني الذرة
فلم ينقص من الابد شيء لان البقاء ايضا لا نهاية له كما كان قبل ذلك وانت ترى نفسك ترضى بتعجيل اسقاط ايام
في تجارة او طلب رياسة وهذا التعجيل الخاسر لاجل شيء هو وهم وربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك
ان ظفرت به وانما ترضى بذلك لانك تستحقر التعب سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر بل لا اضافة بينهما
فتفكر فيه لينكشف لك جهلك على القرب ولعلك تقول انما افعل ذلك على توقع الخلف فان الله تعالى كريم رحيم
فاقول لم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع العثور على كنز من خراب فان الله كريم لا ينقص
من ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا من الكنوز حتى تاخذه فان قلت ذلك نادر ولو كان داخلا في قدرة الله
فاعلم ان توقع العفو مع خراب الاعمال والاخلاق كتوقع كنز في خراب بل ابعد منه واندر وقد نبهك الله تعالى

خراب بيلن

عليه وقال وان ليس للانسان الا ما سعى وقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
الاية وغير ذلك عن طلب المال فقال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فما بال الكذب بكر مه في الدنيا
ولا تكل عليه ثم تخدع نفسك بالكرم في الاخرة وانت تعلم ان رب الدنيا والاخرة واحد وصل
لعلك تقول عواقب امور الدنيا قد انكشفت لي بالعيان اطمأن قلبي اليها واما امر الاخرة فلم
اشاهده ولست اجد تصديق الحقيقي في قلبي فلذلك فترت رغبتي في ترك الدنيا نقدا بما هو موعود
نسية وليت اثق به فاقول لو كنت من ارباب البصائر لانكشف لك امر الاخرة صريحا كما انكشف امر
الدنيا واذا لم تكن من اهله فتفكر من اقاويل ارباب البصائر فان الناس في امر الاخرة اربعة اصناف
صنف اثبتوا الجنة والنار كما ورد به القرآن وقد سمعت انواع نعيمها وانكال جحيمها وصنف
لم يثبتوا اللذات والآلام الحسية بل اثبتوها على سبيل التخييل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة
او نار يراه وصدق وزعموا ان تاثير ذلك فيه كتاثير الحقيقة تام النعيم كتام اليقظان وانما تخلص
عند التنبه وذلك في الاخرة دائم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا الآلام عقلية ولذات عقلية
وزعموا ان ذكر اعظم من الحية ومثلوا ذكر باستشعار واطها فان زوال المكروه من الالم
كثيرة بدنية عما يظفر به عدوه ويأخذه هم مكتة ويستحوذ مع ان ظفر العدو لا يوجد
البدن وهؤلاء هم اصناف النظار الى الاصناف الثلاثة وفيهم الانبياء والاولياء والحكماء وكلهم
اتفقوا على سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة فان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال
على الله ولو مرضت ولم تكن من اهل البصيرة في الطب ورأيت افاضل الاطباء قد اتفقوا على شيء
لم تتوقف اتباعهم وصنف رابع ليسوا من النظار في الصور الاطية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر
نظرهم على الطبايع الاربع ومزاجها وادوا اقوام الروح موقوفا عليها ولم يتفطنوا لحقيقة الروح
الالهي الحقيقي الذي هو العارف بالله تعالى بل لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار انضجته

حرارة القلب بنشر العروق الضوارب الى جميع البدن ويقوم به الحس والحركة وهي الروح التي توجد
للبهايم ايضا فاما الروح الخاص الانساني المنسوب الى الله تعالى حيث قال ونفخت فيه من روحي فلم يتفطنوا
لعدمه فظنوا ان الموت والحياة يرجع الى فساد المزاج وانت في حق هؤلاء بين امرين اما ان تجوز عدمها وتعلم
قطعا صحة قولهم فان جوزت خطأهم لزمك الاعراض عن الدنيا لمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع
وظفرت بطعام وهممت باكله فاخبرك صبي ان فيه سما وان حية راغت فيه فاسيت الجوع
وتركت الاكل لانك تقول ان كان كما قال فليس تفوتني الا لذة الاكل وان كان صادقا فقد فيه الهلاك وهذه
هذه الاحتمال لا يمكن الاقدام عليه فليت شعري باحتمال الخلود في النار كيف يتجرأ العاقل الاقدام عليه
فليت وكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكة عقله وقال زعم المنجم
والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت ايكما ان صح قولكما فلست بخاسر ان كان قولي فالخاسر
عليكما وان قلت اني اعلم ضرورة صدق هؤلاء فان الموت عدم واته لا عقاب ولا ثواب وان الاولياء
والانبياء مغرورون واتما الذين انكشف له حقيقة الحق هو هذا الطبيب الجاهل وزعمت
اني اعلم ذلك كما اعلم ان الاثنين اكثر من الواحد حتى يحاكي فيه ريب فيدل هذا على فساد المزاج
وركاكة العقل البعد عن قبول العلاج ولكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقد
يتقاضاك عقلك ايضا مجاهدة الشهوات وكسرها فان الراحة في الحرية والخلاص والخلاص عن اسر
الشهوات لا في اتباعها فانها اذا استولت على النفس فهي آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذل
ومشقة وهم المستريح في الدنيا والزاهد فيها واما طالبها فلا يزال هو في عناء فالمعقل ايضا ان عقل
قليلا ترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها فان لم تكن امر الاخرة على تخيين والامن
مشاهدة افات الدنيا على يقين فما اقبح الامن الحمقى والمغرورين تتعلق ببناءة بعد حين ولهذا يقال
يقال لازم يا كلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي ايضا

القسم الرابع من الاقسام الاربعة

عشرة اصول الاصل الاول التوبة فانها مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا وقال النبي صلعم التائب حبيب الله والتائب
من الذنب كمن لا ذنب له وقال النبي صلعم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض فلاة
مهلكة معه راحلته وعليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته
فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله تعالى قال ارجع الى مكان الذي كنت فيه
فنام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده وعليها
زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده

فصل

حقيقة التوبة الرجوع عن طريق العبد الى طريق القرب كما ولكن طهارتين ومبدأ وكمال اما
مبدأ وطهارة فهو الايمان ومحاه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب سموم
مهلكة فتشتعل منه نور الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر اما
في الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال فبالعزم على الترك واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان
وبذلك يحصل الكمال

فصل

اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل احد في كل
حال واذكر قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناه معرفة
كون الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة فكيف لا يجب واما وجوبها
على كل احد فهو ان الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من
البهيمية الشهوة والشره والفجور ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء ومن الشيطانية
المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء واصول هذه الاخلاق هذه
الاربع وقد عجنت طينة الانسان عجنا محكما بحيث لا يتخلص منها وانما ينجو في ظلما بنور الايمان
المستفاد من العقل والشرع فاول ما يخلق في الاحشاء البهيمة فيغلب عليه الشهوة والشره

في الصبا

في الصبا ثم يخلق فيه السبعية فيغلب عليه العداوات والمنافسة ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب
عليه المكر والخداع اذ تدعوه البهيمة والسبعية الى ان يستعمل كياسته في حيل قضاء الشهوة
وتنفيذ الغضب ثم تظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم يخلق بعد
ذلك العقل الذي يظهر فيه نور الايمان وهو من جند الله تعالى وجنود الملائكة وتلك الصفات من جنود
الشيطان وجند العقل الشيطان ويكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه والفتنة النفس واسترسلت
في الشهوات متابعة لها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب فان ضعف
جند العقل ونور الايمان لم يقو على ان يعالج جنود الشيطان ويبقى جنود الشيطان مستقرة آخرا كما سبق
الى الفطرة اولا وقد سلم للشيطان مملكة القلب والقتال ضروري في فطرة الادمي اذ لا يتسع له خلقة
الولد لما لا يتسع له خلقة الاب وانما خلق لكل حال ادم صلوات الله عليه لتنبيه به ان خلد كان مكتوبا عليه
وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء الازلي الذي لا يقبل التبديل فاذا لا يتسع الخ

فصل

واما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله عن ذنب في جوارحه او في قلبه
ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه مبعد عن الله والاشتغال بما طلبه
توبة لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك ايضا
طريق البعد ويلزمه الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي ان كان حاضرا على الدوام
واذ لا تتصور في الذكر فلا يخلو عن ملازمة مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه وعليه ان يترقى منه الى
ما فوقه وما ترقى منه استغفر الله عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير بالاضافة الى ما ادركه وذلك
لا نهاية له فلذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة
وكل ذلك كان توبة منه الا ان توبة العوام عن الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين عن الاخلاق
الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر

هز

وانا ساكن في جنوب الشيطان ح
بكل عند الاربعين وبدو اصله عند البلوغ

وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور ان يكون وراءه مقام والمقامات في القرب من الله لا نهاية
طها فتوبة العارف لا نهاية طها ايضا وصل التوبة اذا استجمعت شرايطها فهي مقبولة لا محالة
ولا يخفى عليك ظاهرا ان فهمت معنى القبول ومعنى القبول ان تحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي انوار
المعرفة في القلب وانما قلبك كالمرآة يحجبه عن التجلي كدورات الشهوة والرغبة فيها وترتفع من كل ذنب ظلمة
اليه ومن كل حسنة نور اليه والحسنات تقصل النفس ولذا قال النبي ﷺ اتبع السيئة الحسنة تمحها وسبة
التوبة الى القلب نسبة الصابون الى الثوب ولا بد ان يزول عند الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه فمن تاب فانما يشكل
في قبول التوبة لانه ليس يتيقن تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يتيقن حصول الاسهال
به لانه لا يدري وجود تمام الشروط في ادويته ولو تصور ان تعلم ذلك لتصور ان يعلم القبول في حق الشخص
المعين ولكن هذا الشك في الاعيان لا يشكك انا في ان التوبة في نفسها طريق الوصول الى القبول
والا لما كانت وصل علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار ولا
حامل عليه سوى الغفلة والشهوة وهذا كل مرض في القلب وعلاجه كعلاج امراض البدن لكن هذا المرض
اكثر من مرض الابدان لثلاثة اسباب الاول انه من مرض لا يعرف صاحبه انه مريض فهو كبرص عارض
من الا عضاء مراة له فانه لا يحالجه لانه لا يعرفه ولو اخبره غيره وعلم لم يصدقه والثاني ان عاقبة هذا المرض
لم يشاهده الانسان ولم يجربه فيكذلك تراه يتكل على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد
والثالث وهو الداء المضاعف فقد الاطباء فان الطبيب هو العالم العامل وفقد العلماء في هذه
الاعصار مرض عم عليهم علاج انفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وغلب ذلك على العلماء
فاضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كي لا ينكشف فضيحتهم فافتضحوا الى اصطحوا
على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها فهرب الشبيه عن الديار وانقطع الدعاء
واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم كتموا وما نطقوا

الهلاك كل واحد كانه صخرة في فم الوادي لا هي تشرب ولا تترك الماء ليشربه غيرها وجملة الدواء علاجه
ان تنظر في سبب الاصرار وهي يرجع الى خمسة اسباب وطها الاعتقاد الموعود ليس بنقد والطمع
يستهين عالما ياخذ مخنقه في الحال وعلاجه ان يتفكر ليتعلم ان ما موات قريب وان البعد ما ليس
ما ليه باتٍ وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعله في آخر آيامه او في آخر سنته
من عمره ثم يتفكر انه من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب في الاسفار ويركب الاخطار خوفا من الفقر في الاستقبال
والثاني ان اللذات والشهوات اخذت بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها وعلاجه ان يتفكر انه
لو ذكر نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت فهو الذي الاشياء عنده كيف يتركه فيعلم
ان الله تعالى ورسوله اصدق من الطبيب النصراني والخلود في الدار اشد من الموت بالمرض ولا يقرر
على نفسه انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات اياما قلايل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان
عن الفردوس ونعيمه ابد الدهر الثالث انه يشوف بالتوبة يوما فيوما فعلاجه ان يتفكر ويعلم ان
بناء خطر السعادة والشقاوة على ما ليس اليه جهل فمن لم يعلم انه تبقى له ان يتوب والكثير ضياع اهل
النار من التسويف لانهم سوفوا حتى جاءهم مرض سلمهم الى الموت كيف وانما تسوف انه تعجز عن قمع الشهوات
في الحال فانه كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوات فهذا يوم لم يخلق اصلا بل مثاله مثل من امر بقلع
شجرة عجز عنها لضعف فوقف رسوخ الشجرة فيوخر الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة يزداد كل يوم
رسوخا وقوة تجذر يزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل الرابع ان يعد نفسه في الحفو الكرم
وذلك غاية الحمق ابدا كان الشيطان في مرض الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الخاسر ان يكون والعياذ بالله شاكا في امر الآخرة
وقد ذكرنا علاجه في خاتمة الاخلاق الذميمة وصل التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة
وعن الكبائر اهم والاصرار عن الصغائر ايضا كبيرة فلا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع رجوع واستغفار

وتواتر الصغاير عظم التاثير في تسويد القلب وتركب اتر وقطرات الماء على حجرة فانه يحدث فيها حفرة

لامحالة مع ان الماء وصلابة الحجر وتحطم الصفيرة باسباب احدها ان يستصغر الصغير الصغير ويستهين

بها به فلا يحتم بسببه قال بعضهم الذنب الذي يخفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني

الورود بها والتهجم بسببها لاعتقاد التملك منها ثم حتى ان الذنب ليفتح فيقول اما ان يتني كيف

شئته وكيف من قت عرضه وكيف خدعته في الحاملة وكيف وذلك عظيم التاثير في تسويد القلب

الثالث ان يتهاون بستر الله تعالى عليه ويظن ان ذلك لكرامة عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لكونه ممقوتا

وقد امهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار الرابع ان يجاهر بالذنب ويظهره ويذكره بعد

فعله وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون الخامس ان يصد الصغيرة من عالم يقتدى به

فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته وطوى لمن مات ومات معه ذنوبه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها

ووزر من عمل بها وروى ان بعض علماء بني اسرائيل تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه

ان ذنبك لو كان فيما بينك وبيني لغفرته لك ولكن كيف عمن اضللت من عبادي فاظلتهم النار

وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة فلنذكر فضيلة الخوف اولا

الثاني في الخوف وقد جمع الله الخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان فناهيك به فضلا فقال الله تعالى

هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال الله تعالى رضي الله

عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي عليه السلام راس الحكمة مخافة الله تعالى وقال عليه السلام

من خاف الله تعالى خاف كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال عز وجل لا اجمع على

عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته

يوم القيمة وصل اعلم ان حقيقة الخوف هو تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال

وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب وقد يكون الخوف من الله تعالى لمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة وهذا

اكمل واتم لان من عرف الله تعالى خافه بالضرورة والملك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال الله تعالى

الى اود ان اكون خوفي كما تخاف السبع الضاري والملك قال النبي عليه السلام انا اخوفكم لله تعالى واعلم ان الواقع

في مخالب السبع انما يخافه اذا لم يعرف السبع ان يملكه ولا يبالي وان تركهم لم يكن له رقة عليه وشفقة فانه

احقر عنده من ان يشفق عليه فلا بد من ان يخافه وتلك المثل الاعلى ولكن من عرف انه لو اهلك العالمين

لم يبال ولم ينقص شيء من ملكه قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض

جميعا وكم اهلك من عباده في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب ولم ياخذه رقة ولا شفقة فان خيل محال

عليه فلا بد وان يخاف عزته الجلال والعزة وللاستغناء يورث الهيبة بالضرورة وهذا اكمل انواع

الخوف وافضلها وصل علاج الخوف وتحصيل عبارتين احديهما معرفة الله تعالى فانها توجب

الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع لا يحتاج الى علاج ليخافه فان يخاف السبع ومن عرف جلال الله تعالى

واستغناءه وانه خلق الجنة وخلقها اهلا وخلق النار وخلقها اهلا وانه تمت كلمته بالسعادة والشقاوة

في حق كل واحد صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور تغييره ولا يصرفه عن تنفيذ قضاياه الازلية صار في حقه

وهو لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه ولا يدري ما الذي ختم له به واحتمل عنده ان يكون مقضيا

له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف واما من عجز عن حقيقة المعرفة فعليه النظر الى الخائفين

ومشاهدة احوالهم او سماع ذلك فان اخوف خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة واعظم

الخلق امنا الغافلون الاغبياء الذين لا عتد نظرهم لا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة

جلال الله تعالى وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها وتتعذر فوايصم

اذا راها فينظر الى ابيه فيقدم ويشتد خوفه وان لم يعرف بالحقيقة صفة الحية وقد قال عليه السلام جاءني

جبريل قط الا ومويزتعذر فوايصه فرقا من النار وقيل الخاطر على ابليس ما ظهر على طرف جبريل وميكايل

عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان قالا يا رب ما امنا من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا

مكري ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقيل لما خلق الله النار طارت افئدة الملائكة عن اماكنها
فلما خلق بني آدم عليه السلام عادت وكان ازيز قلب ابرهيم صلوات الله عليه يسمع في الصلوة من مسيرة ميل وبقي
داود صلوات الله عليه اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت الرعي من دموعه وقال الصديق
رضي الله عنه ليتني مثلك يا طير ولم اخلق وقالت عايشة رضي الله عنها وددت لو اني نسيا منسيا
وقال ابو ذر رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تعضد وقد حكينا احوال الخايفين في كتاب الخوف فليتامل
القاصر عن درجة المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين ليعلم انه احق بالخوف منهم واذا تامل ذلك
بالحقيقة غلب خوفه وصار الخوف سوطا يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث
القنوط فذلك مذموم بل اذا غلب ينبغي ان يمزج الرجاء به نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء ما دام العبد
مقارفا للذنوب فاما المطيع المتجرد لله تعالى فينبغي ان يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو
نودي ليدخل الجنة جميع الخلق الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل النار جميع
الخلق الا رجلا واحدا لخفت ان اكون ذلك الرجل فاما اذا قارب الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى
به ينبغي قال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه والرجاء يحالفه التمني فان منا لا يتمهد الارض ولا
يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو متمني مغرور فليس براجي انما الراجي من تعهد الارض وسقاها وبث البذر
وحصد كل سبب يتعلق باختياره ثم بقي يرجو ان يدفع الله تعالى الصواعق والقواطع وان يمكنه من الحصاد
بعد الانبات واذكر قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
غفور رحيم وعلى الجملة فثمرة الرجاء الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب في الهرب ومن رجا شيئا طلبه ومن
خاف شيئا هرب منه واقل درجات الخوف ما يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض عن الدنيا وما لا يحمل على
ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا وزن لها تشبه رقة النساء ولا ثمرة لها بل الخوف اذا تم اثمر الزهد في الدنيا
فلنذكر الزهد ومعناه الاصل الثالث في الزهد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به

ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال الله تعالى من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال الله تعالى حكاية عن قارون
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا فبين ان الزهد من ثمرة العلم
وقال النبي عليه السلام من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين
عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل
غناه في قلبه واتته الدنيا راغمة وسيل النبي عليه السلام قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وعن معنى الشرح قال عليه السلام النور اذا دخل القلب
انشرح الصدر وانفسح فقيل هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي والحمد لله قال ليس كذلك
من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة
ترك زينة الدنيا وقال عليه السلام من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرف داء
الدنيا ودواءها واخرجه منها سليما الى دار السلام وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون ان لا يعرف
احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا
ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال عليه السلام ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس
وقال عليه السلام ومن اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وفصل الزهد في الدنيا
حقيقة واصل وثمرة واما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا وانثنائها عنها طوعا مع القدرة عليها واصلها
العلم والنور الذي يقذف في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح به ان الاخرة خير وابقى وان نسبة الدنيا الى الاخرة
اقل من نسبة خزفة الى جوهرة وثمرتها القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب فالاصل نور
المعرفة فيثمر حال الانزواء ويظهر على الجوارح بالكف الاعن قدر الضرورة في زاد الطريق الضروري من الطريق

مسكن وملبس ومطعم واثاث اما مأكله طولا وعرضا فبالاضافة الى الزمان والقضاء
وجائز الاقتصار على دفع الجوع في الحال فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيئا لعشائه او سطرا
ان يدخر لشهر الحاجة يوما فقط واعلاه ان يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج عن جميع ابواب الزهد
الا ان لا يكون له كسب ولا يأخذ من الايدي كداود الطائي رحمة الله عليه فانه ملك عشرين دينارا فامسكها
وقنع بها عشرين سنة فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته في الاخرة الا عند من يشرط التوكل في الزهد واما
عرضه فاقله نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مدة الزيادة عليه يبطل رتبة الزهد واما الجنس المطعم
فاقله ما يقوت ويصلح النخالة واوسطه خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول فان خبز من تنعم ليس
بزهد واما الادام فاقله الخل والبقل والملح واوسطه الادهان واعلاه اللحم وقد ترك في الاسبوع عمرة او
مرتين فان دام لم يكن صاحبه زاهدا قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي اربعين ليلة وما يوقد
في بيت رسول الله مصباح ولا نار وقيل ما شبع صلعم منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر واما
الملبس فاقله ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واعلاه قميص وسراويل ومنديل من الجنس الخشن
ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره فان كان صاحب قميصين لم يكن زاهدا وقال ابو بردة رضي الله عنه
اخرجت عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلعم في هذين
وصلى رسول الله صلعم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذا اذهبوا به الى ابي جهم الحديث
وكان شراك نعلي عليه السلام قد انقطع فابدل بشراك جديد فلما سلم عن صلوته قال اعيدوا الشراك الخلق
فلما نظرت اليه في الصلوة وكان عليه السلام قد احتذى نعلين الجديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال
اعجبني حسنهما فتواضعت لربي عز وجل خشية ان يعتبني ثم خرج فدفعهما الى اول مسكين راه وقد عد
على قميص عمر رضي الله عنه اثنى عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه في خلافته ثوبا بثلاثة دراهم
وقطع كمية من الرستغين وقال الحمد لله الذي هذا من ريائه وقال بعضهم قوهت ثوب سفيان ونحله بدرهم

واربع دوانيق وقال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي
بهم الغني ولا يزدري بالفقير فقره واما المسكن فادناه ان تقنع بزاوية مسجد او رباط كاهل
الصفة واعلاه ان يطلب لنفسه موضعا خاصا وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد
عند على قدر الحاجة ولا يباهي به ولا يهتم بتخصيصه وفي الاثر ان من رفع بناءه فوق ستة
اذرع ناداه منادي الى اين يا افسق الفاسقين ومات رسول الله صلعم ولم يضع لبنة على لبنة ولا
لبنة على قصبة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه مر بنا رسول الله صلعم ونحن نعالج خصا لنا فقال الامر
اعجل من ذلك واتخذ نوح صلوات الله عليه بيتا من خص فقيل له او شيت لاتخذناه من الطين فقال
هذا اكثر لمن موت وقال عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان تحمله يوم القيمة وقال عليه السلام كل بناء وبال
على صاحبه يوم القيمة الا ما لا بد منه من حر او برد واما اثاث البيت ففيه ايضا درجات وادناها
حال عيسى عليه السلام اذ لم يكن معه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط باصابعه فرمى المشط ورأى اخر
يشرب بيده فرمى الكوز واوسطه ان يستعمل من الجنس الخشن واحدا في كل غرض ويجتهد ان يستعمل
واحدا في اغراض وقال عمر رضي الله عنه لعمير بن سعيد وهو امير حمص ما معك من الدنيا فقال معي عصاي
اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيها طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل
راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما بقي الا
ثوبه وما وضع احدهم بينهم وبين الارض ثوبا وكان صحاب رسول الله صلعم الذين ينام عليهم وسادة
من ادم حشوها ليف وعباءة مبينة فهذه سيرة الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الرتبة فلا اقل
من ان يتحسر على فواتها ويجتهد ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا

فصل الزهد على درجات احداها ان يزهد ونفسه مائلة في الدنيا ولكنه يجاهدها
وهذا متزهد وليس بزاهد ولكن بداية الزهد الثانية ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا تميل

فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار وما الاحدهم ح

بينهما

اليها لعلمه بان الجمع بينها وبين دوام الآخرة غير ممكن فتسمح نفسه بتركها كما تسمح نفسه بتركها كما

تسمح نفس بذل درهم لتشتري جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد الثالثة

ان لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة يكون

المال عنده كالماء وخزانة الله كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا وهذا هو الاكمل الا الذي يخص

شيئا هو مشغول به كالذي يحبه ولذلك ذم الدنيا عند ابعد العدوية رحمة الله عليها فقالت لو لا قدرها

في قلوبكم لما ملكتموها وحمل الى عايشة رضي الله عنها مائة الف فلم تنفد عنها ولكن فرقتها في يومها فقالت

خادمتها لو اشتريت بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فهذا هو الغنا وهو الاكمل

من الزهد ولكنه مظنة غرور والحمق اذ كم مغرور يستشرف نفسه ان لا علاقة لقلبه من الدنيا وعلامة

ذلك ان لا يدرك التفرقة بين ان يسرق جميع ماله او يسرق ماله غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول

به وصل كمال الزهد هو الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصبا فان من ترك الدنيا وظن

انه ترك شيئا فقد عظم الدنيا عند ذوي البصائر لا شيء وصاحبه كمن منعه عن باب الملك كلب على بابه فالتفى

عليه لقمة خبز وشغله به ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فالشيطان كلب على باب الله والدنيا

كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك اذ يفنى بامثالها والآخرة لا يتصور ان تفنى

بامثال الدنيا اذ لا نهاية لها وصل الزهد بلحاظ الباعث عليه على ثلاث درجات احديها ان يكون

بلحاظ الخوف من النار وهذا زهد الخايفين والثانية وهي اعلى منه ان يكون باعث الرغبة في نعيم الآخرة

وهو زهد الراجين والعبادة على الرجاء افضل منها على الخوف لان الرجاء منه يقتضي المحبة الثالثة

وهي اعلاها ان يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات الى سوى الحق تنزيها للنفس عنه واستحقارا

لما سوى الله تعالى وهذا زهد العارفين وهو زهد المحقق وما قبله معاملة اذ يترك صاحبه شيئا عاجلا

ليعتاض عنه اضعافه آجلا وصل الزهد بلحاظ ما فيه من الزهد على درجات وكماله الزهد

في كل ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة ودونه الزهد في الدنيا خاصة دون الآخرة ثم يدخل فيه كل ما فيه

حظ وتمتع من الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد في المال دون الجاه وفي بعض الاشياء دون

بعض ودون ذلك ضعيف لان الجاه الذي هو اشهى من المال فالزهد فيه اهم وصل الزهد ان تنزوي الدنيا

طوعا مع القدرة عليها كما ان انزوى الدنيا عنك وانت راغب فيها فذاك فقر فليس بزهد ولكن للفقير

ايضا فضل على الغنا الا انه منع عن التمتع بالدنيا فهذا هو افضل ممن مكن من الدنيا والتمتع بها حتى

الفها واطمان اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم عليه الالم والحسرة عند الموت وتكون الدنيا كما انها

جنة للغني ويكون كانها سجن للفقير اذ يشتهي الخلاص من الامها والفقر من اسباب السعادة قال النبي ص

ان الله يحمي عبده عن الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه عن الطعام والشراب قال النبي عليه السلام يدخل فقراء

امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام وقال ع خير هذه الامة فقرائها وقال ع اذا رايت الفقر مقبلا فقل

مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى صلوات الله عليه

يارب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير واعلم ان الفقير اذا كان قانعا بما اعطي غير شديد

الحرص على الطلب فقد حصل قريب من درجة الزاهد قال النبي عليه السلام طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان

عيشه وقنع به وقال عليه السلام الفقر الصبر هم جلساء الله تعالى وقال ع احب العباد الى الله الفقير

واوحى الله تعالى الى اسمعيل صلوات الله عليه اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون

وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقر عند القناعة والصبر والرضا فالصبر على الفقر مبدا الزهد ولا يتم هذه

المقامات الا بالصبر فلنذكره الاصل الرابع في الصبر قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع

للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

وقال الله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون

بامرنا لما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وذكر الله تعالى في القرآن الصبر في نيف وسبعين

موضعا وقال عم الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه
منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال عم الصبر كذا من كنوز الجنة وسئل النبي عليه السلام
مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى صلوات عليه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبر كم على ما تكرهون

فصل حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الادمي
الذي هو كالمركب من شوب ملكية وبهيمية لان البهيمة لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملك
لم يسلط عليه الشهوة بل مجرد الشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب
منها فهم يستحقون الليل والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور الصبر للملك والبهيمة
بل الانسان سلط عليه جندان يتطارد احدهما من قرب الله وملائكته وهو العقل وبواعثه والثاني
من جنود الشيطان وهي الشهوات ودواعيها وبعد البلوغ تظهر باعث الدين والعقل اذ يحمل
على النظر الى العواقب ويستدرك بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة باعث
الهوى حتى على التناقض وذلك الصبر على شرب الدواء البشع اذ يدعو اليه داعي العقل ويمنع
منه داعي الشهوة وكل من غلبته شهوته لم يقدم عليه ومن غلب عقله فصبر على مر الله لينال
الشفاء وشطر الايمان انما يتم بالصبر ولذلك قال النبي عليه السلام الصبر نصف الايمان لان الايمان
يطلق على المعارف والاعمال جميعا وسائر الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية لا تتم
الا بالصبر لان جملة اعمال الايمان معاملة في باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته
ولذلك قال النبي عليه السلام الصوم نصف الصبر لان الصبر تارة يكون في مقابلة داعي الشهوة وتارة
يكون في مقابلة داعي الغضب والصوم هو كسر لداعية الشهوة **وفصل** الصبر له ثلث درجات
بحسب ضعفه وقوته الدرجة العليا ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها المنازعة
ويتوصل اليها بدوام التصبر وطول المجاهدة وهم الذين عيل فيهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

وايام ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الدرجة السفلى ان
تحجز عن داعية الهوى فتسقط منازعة باعث الدين وبغلبة الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان
وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وعلامة شيطان احدهما
ان يقول انا مشتاق الى التوبة ولكنها تعذر شاقة فلست اطيقها فهذا من الخاطر وهو الهالك
الثاني ان لا يبقى فيه شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم وهو مستغن عن توبتي والجنة واسعة
والمغفرة الشاملة عني وهذا المسكين قد صار عقله اسير شهوته ولا يستعمله الا في استنباط
حيل قضاء الشهوة فصار عقله كعقل اسير بين الكفار يستخدمونه في رعاية الخنازير وحفظ الجمود
وحملها على العنف والظهر الدبيوتم وانظر كيف يكون حال العبد اذا خذا عز اولاد الملك وسلم الى اخس
اعدائه حتى استرقه واستخدمه وفي مثل حاله يكون قدوم هذا الخاذل المنهمك على الله سبحانه فتوفوا بالله
الدرجة الوسطى ان لا يفتر عن المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا لا يثار له اليد دون اخرى عليه اليد
وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الاية وعلامة هذه ان يترك من الشهوات
ما هو اضعف ويعجز عما هو اغلب وربما يغلبها في بعض الاوقات دون بعض وهو في جميع الاحوال متحسر
على عجزه ومتشمر للمعاودة الى المجاهدة وقتاله وذلك هو الجهاد الاكبر وبها اتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وبالجملة فقد قصر عن البهيمة انسي لم يقاوم بقوة عقله وهدى شهوته وقد ارتقى
بالعقل وحرم عنه البهيمة ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل الاية **وفصل** اعلم ان الحاجة
الى الصبر عامة في جميع الاحوال لان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن نوعين فانه اما ان يوافق
هواه او يخالفه فان وافق هواه كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة مما احوجه
الى الصبر معها فانه ان لم يضبط نفسه طغى واسترسل في التنعم واتبع الهوى وهي المبتدل والمنتهى لذلك
قالت الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك قيل يصبر على البلاء

كل موءمن ولا يصبر على الحافية الا صديق ومع الصبر ان لا يترك الدعاء ويعلم ان كل ذلك وديعة عند
ويترجح على القرب وان لا يتهم بكل في الغفلة والتنعم ويوفى حق شكر النعمة وذكر ما يطول شرحه النوع
الثاني ما لخالق الهوى وذكر اربعة اقسام القسم الاول الطاعات النفس تنفر عنها بجملتها الكل كالصلوة
الكل كالصلوة وعن بعضها بالبخل كالزكوة وعن بعضها بها جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة من الشدايد
ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال احدها اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الرياء
ومكايد النفس وغرورها الثانية حالة العمل كيلا يكاسل عن تحقيق آدابه بفروضه وسننه ويوقع منصوبة اي يوقع العمل
على شرط الادب مع حضور القلب وفي الوسط من الثالثة بعد الفراغ وهو ان يصبر عن ذكره
واخفايه للتظاهر به رياء وسمعة وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس القسم الثاني المعاصي
وقد قال النبي عليه السلام المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء والصبر عن المعاصي اشد لا سيما
عن معصية صارت عادة ما لوفة اذ يتظاهر فيه على باعث الدين جندان جند الهوى وجند العادة
فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المونة فيه لم يصبر عنها الا الصديق وذلك لعاصي اللسان فانه هين سهل
وذلك الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج في جميع ذلك الى استدامة انواع الصبر القسم الثالث
ما لا يرتبط باختيار العبد ولكن له اختيار في دفعه وتداركه كالأذى الذي ينال من غيره بداء
لسان فالصبر على ذلك بتركه المكافاة تارة بجب وتارة يستحب قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان
الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال الله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقال الله تعالى وصبر واذا لم وتوكل على الله وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين القسم الرابع ما لا يدخل اولا واخرا تحت الاختيار كالمصايب بموت الاعزة
وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض الاعضاء وسايرانواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات
قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاث مقامات صبر على اداء الفرايض فله ثلاث مايه درجة

وصبر عن محارم الله تعالى وله ست مايه درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسع مايه
درجة وقال النبي عليه السلام قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابراه ابدله فلا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال النبي عليه السلام
قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال النبي عليه السلام من
جلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة
فعلمت انك لا بد في عبد في جميع احواله ان يظهر انه بشرط الايمان وشرط الايمان ان يتحلى
بجمال الشكر فقد قال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهذا باعتبار النظر الى اللفظين
والتعبير بالايمان عنها الفصل الخامس الشكر وقد قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وقال لئن شكرتم لازيدنكم وقال واشكروا لي ولا تكفرون وقال وسيجزي الله الشاكرين وقال ايفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر عند الله تعالى وكان عمر يبكي ويقول
فقالت عايشة رضي الله عنها ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وقال عليه السلام ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فيتصبب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن
الحامدون قال الذين يشكرون الله عز وجل على كل حال وقال عليه السلام الحمد رداء الرحمن الفصل
اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو اعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات التي سبق
ذكرها ذكرها لانها ليست مقصودة في انفسها وانما تراد لغيرها فالصبر يراد به قمع الشهوة والخوف
سوط يسوق العابد الى المقامات المقصودة والزهد هرب من العلايق الشاغلة عن الله وانما
الشكر فمقصود في نفسه والذكر لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد واشكر
دايم في الجنة والذكر قال الله تعالى آخر دعوتهم ان الحمد لله رب العالمين وتعرف ذلك بان تعرف حقيقة الشكر

وانه ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل ومنه يثمر الحال والحال يثمر العمل فهذه ثلثة اركان الاول العلم
فالعلم بالنعمة والمنعم مع العلم بان النعم كلها من الله تعالى وهو متفرد بجميعها والوسايط كلهم مسخرون مقهورون
وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد فانها داخلان فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس
ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة فتعرف انه لا مقدس الا واحد وهو التوحيد ثم اذا علم ان كل ما في العالم فهو موجود
من ذلك الواحد والكل منه خاصة وهو الحمد والى هذا الترتيب الاشارة بقولهم عليهم السلام من قال سبحان الله فله
عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون وهذا ان التقديس
والتوحيد داخلان فيها وزيادة وهذه الدرجات بان هذه الجارحة واما حركة اللسان ففضلها بحسب
صدقها للاعتقاد في القلب فان انضم اليه الغفلة انمحى اثرها انك اذا اعتقدت ان لغير الله تعالى دخلا في النعمة
دخلا في خلعة الملك او في اتصالها اليه او في تيسيرها فكل ذلك اشراك في النعمة وينوع فرح بالنعمة عليها
نعم لو رايت الخلعة الواصلة اليك بتوقيع الملك بقلم فذكر لا يقصر في شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر له
لا حظ له في النعمة بنفسه والذكر لا يلتفت قلبك الى الفرح بالقلم وان كرره وكذا كل ما لا يلتفت الى الخازن
والوكيل اذ يعلم انه مضطر ان الى العطاء بعد الامر مسخر ان للمدخل لهما بانفسهما في النعمة فكذلك من
انفتحت بصيرته علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم والكاغذ والحبر في التوقيع وان
قلوب الخلق خزاين الله تعالى ومفاتيحها بيد الله تعالى فيفتحها بان يسلط عليها دواعي جازمة حتى يعتقد ان
خيرها في البذل مثلا وعند ذلك لا يستطيع ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من دواعي
الاختيار فانه لا يعطيك احد شيئا الا لغرض نفسه ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا
او غير ذلك ومهما يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك فاذا ليس هو منعما عليك لانه يسعى لنفسه انما المنعم
عليك من سخره بتسليط هذه الدواعي عليه وقدرك في نفسه ان غرضه منوط بالاداء والانعام فان

عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور منك الشكر بل هذه المعرفة هي عين الشكر قال موسى صلوات
الله عليه يا رب حياتي التي خلقت لاحمد بها فعلت وكيف شكرك قال علم ان ذلك مني وكان معرفته ذلك
شكرا الركن الثاني الحال المستثمرة من المعرفة وهي الفرح بالمنعم وهيئة الخضوع والاجلال ومن يرسل
اليه بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلثة اوجه احدها من حيث انه ينتفع بالفرس او من
حيث يستدل به على عناية الملك به شاء ينعم عليه بما هو اعظم منه او من حيث ان الفرس يكون
مركبا له حتى يسافر الى حضرة الملك ويخدمه والاول ليس من الشكر في شيء فانه فرح بالنعمة لا بالمنعم والثاني
داخل في الشكر شيئا لكنه ضعيف بالاضافة الى الثالث فكمال الشكر ان يكون الفرح بما يفتح الله تعالى في نعمه
لا بالنعمة من حيث هي نعمة بل بها من حيث انها وسيلة اليه اذ به تتم الصالحات وعلامة هذا
ان لا يفرح بكل نعمة تلاقيه عن ذكر الله تعالى بل يختم به ويفرح بما يزدلف الله تعالى عنده من شغل الدنيا وفضولها
وهذا كمال الشكر فمن لم يستطع فعليه بالثاني واما الاول ففرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر
في شيء الركن الثالث العمل وذكر بان يستعمل نعمة في محابة الله تعالى عاصيه وهذا لا يقوم به الا من عرف
حكمة الله تعالى في جميع خلقه وانه لما خلق كل شيء وشرح ذلك يطول وقد ذكرنا طرفا منه في الاحياء وجملته ان
يعلم مثلا ان عينه نعمة منه فشكره ان يستعملها في مطالعة كتاب الله تعالى وكتب العلم ومطالعة السموات
والارض ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها من المسلمين ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما
ينفعه في الآخرة ويغض عن الاصغاء الى الهجو والفضول ويستعمل لسانه في ذكر الله تعالى والحمد له في اظهار الشكر
عند دون الشكوى ومن سئل عن حاله فان شكى فهو عاص لانه شكاية من ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر
على شيء وان شكر فهو مطيع واما شكر القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق وحسن
النية وكذلك في اليد والرجل وسائر الاعضاء والاعمال وغير ذلك مما لا ينحصر وصل اعلم انه انما يتمكن
من كمال الشكر من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يرى من كل شيء حكمته وان سره محبوب الله تعالى فيه

ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنة وحدود الشرع فتحتها اسرار لا تحصى وليعلم انه لو نظر الى غير محرم مثلا
فقد كفر نعمة الله في العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس
والشمس انما يتم بالعين ونور السموات فكانه كفر انعم الله تعالى في السموات والارض وقس على هذا كل معصية
فانها انما تتمكن باسباب يستدعي وجود جميعها خلق السموات والارض وطي الغور وعمق اشرنا اليها في كتاب
الشكر من كتاب الاحياء ويكفيك ها هنا مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة
في الاموال كلها يعدل بها القيم ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدري كيف يشتري الثياب بالزعفران
والدواب بالاطعمة فانه لا مناسبة بينهما بتة كان يحتاج في المبايعة وحساب مقدار ارداحها الى الموازين والمقادير
فمن كنزها كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام للمسلمين في الحاكة والفلاحة التي
يقدر عليها كل احد حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس فمن اراد في الحال جعلها مقصد تجارته بالمصارفة
بين جيد هما ورديها لكي يشغل الحاكم الحكم واتخذه سخرة لنفسه ليحتطب له ويكنس له ويكتب له
القرطاس وكل ذلك ظلم وتغيير لحكمة الله تعالى في خلقه وعباده ومعاندات لله في محابه ومن لا ينكشف له بنور
البصيرة هذه الاسرار عرف على لسان الشرع صورته دون معناه وقيل له الذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الى قوله يكنزون الاية وقيل من شرب في اناء من ذهب
او فضة فكما تجرجر في بطنه نار جهنم وقيل الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس فالصالحون يقفون على الحدود ولا يحرفون اسرارها وادعى قوم اذا اطلعوا
على الاسرار بانفسهم وشاهدوا واشواهدوا شواهد الشرع ازدادوا نورا على نور والعميان الجاهلون
يحرمون الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا فلا تم كعبد اتقياء ولا احرار كرام وهم الذين
قال الله تعالى فيهم ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال الله تعالى فمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة

اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
حكمته عز خالقه وقد القى الى الخلق على لسان الانبياء كما فصلت في جملة الشريعة من اولها الى
اخرها وما من حد من حدود الشرع الا وفيه سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها
من يجهلها وشرح ذلك يطول فليطلب من كتاب الشكر فلا يتصور تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى
مخلصا داعية فيه فلنذكر الاخلاص والصدق الاصل السادس الاخلاص والصدق
اعلم ان للاخلاص حقيقة واصلا وكمالا فهذه ثلثة اركان واصله النية اذ فيها الاخلاص
وحقيقته نفي الشوب عن النية وكماله الصدق الركن الاول النية وقد قال الله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى النية ارادة وجهه قال النبي صلعم
انما الاعمال بالنيات الحديث وقال ان الملائكة يرفع صحيفة عمل فيقول الله تعالى القوها فانه لم
يرد بها وجهي واكتبوا له كذا وكذا فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا فيقول الله تعالى انه نواه انه نواه
وقد عم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ولا مالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مالا
لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله
فيقول رجل لو اتاني الله مالا لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء وقال صلعم من غزا وهو لا ينوي
الا عقالا فله ما نوى وروي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان رمل في ايام قحط فقال في نفسه لو
كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك
وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقال صلعم اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل هذا بال المقتول قال اراد قتل صاحبه وقال صلعم من تزوج
امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن اذن دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق

فصل حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيان ان جميع ما لكر

لايصح الا بقدرة وارادة وعلم او العلم مع الارادة والارادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة للارادة
بتحريك الاعضاء مثال انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها قد تكون لكثرة كمانها نائمة فاذا وقع
بصرك على طعام حصلت المعرفة بالطعام فانتهضت الشهوة فامتدت اليد اليه وانما امتدت اليد
بالقوة التي فيها المطيعة لاشارة الشهوة وانتهضت الشهوة لحصول المعرفة المستفادة من طبيعة
الحس وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك ايضا ميلا الى اللذات الآجلة بتهيئ ذلك
الميل باشارة المعرفة الحاصلة من العقل والقدرة ايضا تخدم هذا الميل بتحريك الاعضاء والنية
عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذي يغزو وقد يكون الباعث له ميلا الى المال فذلك نيته
وقد يكون الباعث له ميلا الى ثواب الآخرة فذلك نيته فاذا النية عبارة عن الارادة الباعثة وهي
اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب **وصل** اذا حصل العمل بباعث النية والعمل والنية
بهما تمام العبادة والنية احد جزئي العبادات لكنها خير الجزاين لان الاعمال بالجوارح ليست
مرادة لانها تراد لهذا القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر فيتفرع للذكر والفكر الموصلين له الى اللذين
والمعرفة اللذين هما سعادته في الآخرة فليس المقصود من وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة
على الارض بل خضوع القلب ولكن القلب يتاثر باعمال الجوارح وليس المقصود من الزكوة ازالة الملك
بل ان الة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب من المال وليس المقصود من الاضحية لحومها ولا
دماؤها ولكن استشعار القلب التقوى بتعظيم شعاير الله تعالى والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى
الخير وهو متمكن من خلقة المقصود فهو خير من اعمال الجوارح الذي اغاير اذ هو سراية اثره الى محل
المقصود وهو القلب والفكر يوثر جميع اعمال القلب من الجوارح فيه اثرا وعمل الجوارح دون حضور القلب
هباء ولا اثر له ومهما قصد معالجة العجز فما يحصل من الادوية بالشرب اليدها النفع لامحالة مما
يطلي بها ظاهر الصدر ليسري اليها اثرها وكذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى الجوف كان باطلا وهذا تحقيق

تعرف ست قطاع عم نية وانها المؤمن خير من عمله **فصل** اذا عرفت فضل النية وانها
تجعل حلقة المفصوص ويوثر فيه فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوي
بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك هديت لطريقه فيكفيك مثال واحد وهو ان الدخول
في المسجد للقعود فيه عبادة واحدة ويمكن ان تنوي ثمانية امور او ظا ان تعتقد انها بيت الله تعالى وان
من دخله فهو زائر لله تعالى فتنوي ذلك قال عم من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام
زايره ثانيها نية المرابطة لقوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا وقيل معناه انتظار الصلوة بعد الصلوة
وثالثها الاعتكاف ومعناه كف السمع والبصر الاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم عم
رهبانية اقعد القعود في المساجد ابعدها الخلوة دفع الشواغل للزوم الستر للفكر في الآخرة وكيفية
الاستعداد لها خامسها التجرد للذكر وسماعه او اسماعه لقوله عم من غدا الى مسجد يذكر الله تعالى او
يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى سادسها ان يقصد افادة علم وتنبيه من يسي الصلوة وغلى
عن المنكر وامرا بمعروف وحث بشره بسببه خير فيكون شريكا فيها سابعها ان تترك الذنوب جبارا
من الله بان تحبس نفسك في بيت حتى تستحي منه ان تفارق ذنبا ما منها ان تستفيد اخا في الله فان ذلك
غنيمة وذخيرة لدار الآخرة والمسجد تعشش اهل الخير لله وفي الله وقس على هذا سايرالاعمال
فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال وتلتحق باعمال المقربين كما انه بنقيضها يلتحق باعمال الشياطين
لكن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه بعراض الناس ومجالسة اخوان اللهو واللعب
وملاحظة من يجتاز فيه من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران على سبيل المراياة
او المباهاة باقتناص قلوب المستمعين للكلام فما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي ان يخلو المباحة عن حسن
النية ففي الخبر ان العبد ليسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتيات الطيب باصبعه وعن
لمسه ثوب اخيه ومثال النية في المباحة ان من يتطيب يوم الجمعة يمكنه ان يقصد التنعم بلذته او التفاخر

بان يحسن بيت نفسه وقلبه وعمله حتى تستحي منه من اراد ان يفارق ذنبا

وريحه اطيب من مدارج المسك ومن
تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيمة صح

والتزويج

باظهار زينة او التزين للنساء واخذان الفاد ويتصور ان ينوى باتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالى
واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة وايصال الراحة اليهم بالرائحة
الطيبة وجسم باب الخبيث اذا شم منه رائحة كريهة والى الفريقين الاشارة بقوله ع من
تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة **فصل** اعلم ان النية لا تدخل
تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت من القعود في المسجد كذى وكذى
وتظن انك قد نويت اذ عرفت من قبل ان النية هي الباعث المحرك الذي لولاه لم يتصور
وجود العمل والنية المتكلفة كقول القايل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه او نويت ان اعطش
او اجوع او اشبع فان لكل هذه دواعي وصوارف وتحققها اسباب لا يتصور حصولها دون اسبابها
وقول القايل نويته جميع فعله دون تحققها حديث نفس وليس بنية فمن وطئ لقلبه شهوة الوقاع
من اين ينفعه قوله نويت الوطي لاجل ان الولد وتكثير عدد من يباهي بهم الامم بل لا تنظر بانبعاث
هذه النيات من قلبك الا اذا قوى ايمانك ومتت معرفتك بحقارة الحظوظ العاجلة وعظم ثواب
الآخرة حتى اذا غلب في قلبك انبعث منك الرغبة ضرورة في كل ما هو وسيلة الى ثواب الآخرة فان لم ينبعث
فلا نية لك ومثل هذا توقف السلف في جملة من الخيرات حتى روى محمد بن سيرين لم يصل الى جنازة الحسن
البصري وقال ليس تحضرني النية وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال انا في طلب نية
لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد من عرف حقيقة النية وعلم انتهاز وقت العمل فلا يثوب نفسه
بعمل الا وهو له ويتحقق ذلك ان المباح قد يصير افضل من العبادة اذا حضرت فيه النية حتى الاكل والشرب
ليتقوى على عبادة الله تعالى وليس تنبعث نية الصوم في الحال حال الاكل اولى ومن مل العبادة وعلم
ان النوم لعادة نشاطه فالنوم افضل له بل لو علم مثلا ان الترفه بدعابة وحديث مباح
في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل له من الصلوة مع الملال قال النبي ع ان الله لا يمل حتى تملوا وقال

ابو الدرداء

ابو الدرداء رضي الله عنه اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ازوى وجوه القلب فانها اذا اكرهت عميت
دقايق يستغلها الناظرون من الفقهاء كما يستغل الطبيب الضعيف معالجة المحرور باللحم
والحاذق منهم قد يامر به ليقوي قوة المريض الضعيف حتى يحتمل الدواء النافع بعد الركن
الثاني في اخلاص النية وقد قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال النبي ع
قال الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال ع لمعاذ رضي الله
اخلص من العمل يجزيك القليل منه وقال ع ما من عبد خلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه **فصل** حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد وهو اضافة الاشراك وامر
ان يشتمل الباعثان وكل ما يتصور ان يمازج غيره فان صفي عن كل شوب يسمى خالصا وقد عرفت
ان النية هي الباعث فمن لا يعمل الا لله فهو مخلص ومن لا يعمل الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم
باحد الجانبين بالعادة كالحاذق فانه مميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال الاخلاص يشوب
الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول ايضا باغراض اخر فان الصيام قد يقصد مع العبادة ان ينتفع بالحمية
الحاصلة بالصوم وقد يقصد بالعتق ان يتخلص من مونة العبد وسوء خلقه والحاج يحج ليصح من اجة بحركة
السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال او من ايلاء الاعداء او من التبرم بالمقام مع الاهل او يتعلم العلم ليسهل
عليه طلب المعاش او يكون محرفا بارع العلم عن الظلم او يكتب مصحفا ليحوج خطه او يحج ماشيا ليخف
مونة الكراء او يتوضأ لينتظف او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او اعتكف ليحن عليه كل الملك او صام
ليخف عن نفسه تعب الطبخ وشراء الطعام او يتصدق ليدفع عن نفسه بلاء السائلة او يعود من مرضا
لعياده او لعياده اذا مرض فهذه الاغراض قد تتجرد وقد تشوب فضل العبادة شوبا خفيا فاذا
خطر شيء من هذه الاغراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جدا ولذلك قال بعضهم اخلاص ساعة

ملوك

ابو الدرداء

نجاة الأبد ولكن فلك عزيز وقال ابو سليمان الدارني رحمه الله خطوط لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى

وكان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول يا نفسي اخلصي تخلصي وقال اعلم ان امتزاج

هذه الشوايب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون مغمورة وقد يكون مساوية لقصد العبادة فلا تمحو اصل

الثواب في المباحات مهما بقي شوب من ارادة وجه الله تعالى فله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب

عليه فاذا كان في عبادة امر بان يخلصها لله وان كان الشوب غالبا بطلت العبادة وان كان مساويا

او مغلوبا بطل الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها على انتفاء الشوايب

كلها فيه نظر اشرنا اليه في الرياء وتطلب استقصاءه من الاحياء الركن الثالث الصدق وهو كمال

الاخلاص قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال عليه السلام ان الرجل ليصدق ويتحرى

الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال الله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا ويكفي بفضيلة

الصدق واعلم انه لا ان يدرك به مراتب ستة من بلغ في جميعها بل اربعة الكمال استحق اسم الصديق

اولها الصدق في القول في جميع الاحوال ما يتعلق بالماضي والمستقبل والحال واما الصدق في الحال

احد مقاماته الحذر من العارض ايضا فانه وان كان صدقا في نفسه فيفهم خلاف الحق وهو المحذور من

الكذب تفهيم خلاف الحق اذ يكتب القلب صورة معوجة كاذبة بان اذا كذب اللسان وان

مال وجه القلب عن الصحة الى الباطل لم يتحل الحق لوصف الصحة حتى يصدق رؤياه ايضا والعارض

لا توقع في هذا المحذور لانه صدق في نفسه لكن توقع في المحذور الثاني وهو تجهيل الغير فلا ينبغي

ان يفعل ذلك لغرض صحيح وكمال الثاني ان يرعى الصدق في اقواله مع الله تعالى فاذا قال وجهت

وجهي للذي في قلبه في تلك الحالة شيء سوى الله فهو كاذب واذا قال اياك نعبد وهو مع ذلك

عبد الدنيا او لنفسه او لغرض من اغراضه فهو كاذب في هذه الكلمة وكذلك قال عيسى عليه السلام

يا عبيد الدنيا وقال نبينا عليه السلام تعس عبد الدينار والدرهم الصدق الثالث في النية وهو

فضيلة الصدق واعلم ان الصدق

ان يتمحض فيه داعية الخير فاذا كان فيه شوب خفي فات الصدق فيه تعالى يقال هذا صادق الحموضة

وصادق الحلاوة اذا كان محضا فيرجع هذا المعنى الى نفي الاخلاص الصدق الثالث في العزم فان

العبد قد يعزم على التصدق ان رزق مالا على العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف

وتردد تارة يكون جزما قويا لا تردد فيه فالجزم القوي سمي عزما صادقا كما وجد عمر رضي الله عنه عند

من تفسير حيث قال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه ودرجات

عزم الصديقين في القوة قد يتفاوت واقصاها ان ينتهي الى الرضا بضرب الرقبة دون تحقيقه

الصدق الرابع الوفاء في العزم فان النفس قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانى

عن كمال التحقيق لان المؤنة في العزم هينة وانما الشدة في التحقيق ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا

ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الى قوله فاعقبهم

نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وما كانوا يكذبون الصدق الخامس في الاعمال

بان يكون بحيث لا يدل على شيء من الباطل الا والباطن متصف به ومعناه استواء السريرة والعلانية

فالماشي على الهدوء يدل بحكمه على انه هادئ في باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت قلبه الى تخيل

الى الناس انه هادئ في باطنه فذلك رياء وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكن غافل فذلك ليس برياء

ولكن يفوت به الصدق ولذلك قال عليه السلام اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة

وقال عبد الواحد كان الحسن البصري اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك

الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانيته منه الصدق السادس وهو على ابوابه

وهو الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب والرضا والتوكل وغيرها فان هذه المقامات

اوايل ينطلق الاسم بها وطباحقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي الشهرة الصادقة

وذلك قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال الله تعالى

وصدق الصديقون

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا فهذه درجات الصدق فمن تحقق
بجميعها فهو صديق ومن له نصيب من بعضها فرتبته بقدر صدقه ومن جملة الصدق تحقيق القلب بان
الله تعالى هو الرزاق وعليه التوكل فلنذكر الاصل السابع في التوكل وقال الله تعالى وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال الله تعالى يحب المتوكلين وقال ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقال اليس الله بكاف عبده وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
فابتغوا عند الله الرزق وقال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع
الى الدنيا وكله الله اليها وكان رسول الله صلعم اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول
يا هذا امر بخدمة فقال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى فصل حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد ويظهر اثرها على الاعمال
فهي ثلثة اركان المعرفة والحال والعمل الركن الاول المعرفة وهي الاصل واعني بها التوحيد فانه انما يتوكل
على الله من لا يرى فاعلا سوى الله تعالى وكمال هذه المعرفة وتتميمها قولك لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اذ في هذه ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكمة
الذي يستحق بها الحمد فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت في قلبه الاصل الذي
منه ينشعب حال التوكل الذي بالصدق فيه ان يصير منع الخلق وصفا لازما له لانه غالبا على قلبه
لا يتسع لتقدير غيره فصل هذا التوحيد له لبان وقشران فطبقاته اربع كما الجوز له
لب ثم الدهن لب البلوط والقشرة العليا قشر فالقشرة العليا القول باللسان المجرد
والثانية الاعتقاد بالقلب جزما وهو درجة عوام الخلق ودرجة المتكلمين اخلا
يتميزون عن العوام الا بمعرفة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات الثلثة

وهي اللباب ينكشف بنور الحقيقة هذا التوحيد وسره بالحقيقة وهو ان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها
بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها
وارتباط اول السلسلة بمسبب الاسباب وصاحب هذا المقام بعد في نظر الى الافعال
وكثرتها وارتباطها بالفاعل الرابعة وهي لب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويعلم ان الموجود
بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه في حق من تفرق نظره كالذي يرى من الانسان مثلا رجله ثم يده
ثم وجهه ثم رأسه فيغلب عليه كثرته فان راى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الاحاد بل كان يشاهد
الشئ الواحد فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء والارض وسائر الموجودات بل يرى الكل في حكم
الشئ الواحد وهذا له غور وستدعي كشفه تطويلا فاطلبه في كتاب التوحيد واذكر من كتب الاحياء
ليتوقف على ما تلوح منه والفناء في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد وذلك بان يصير مستغرقا بالواحد
الحق حتى لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه فان من حيث هي نفسه غير الله تعالى وان التفت له معنى الغيرية
بنظر اخر واعتبار على وجه آخر فصل حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل ولا يستدعي
الفناء في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد
ارتباط السلسلة بمسببها وما عنده ان ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الادميين فانك ان
رأيت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة الغيم والغيم بواسطة الريح والريح
الجبال وكذلك الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لا محالة وان كنت لا تعرف عدد الوسايط
فلا يضرك ذلك وانما الذي يخفى عليك افعال الادميين فانك تقول من الحمق طعاما فانما يطعمني
باختياره ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف لا اراه فاعلا وانما مثلك في الالتفات اليه مثل النملة ترى
سواد الخط على البياض يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى القلم فحركته الصغيرة الضعيفة
لا تمتد الى الحبر ومنها الى اليد ومنها الى القدرة المحركة لليد ومنها الى الارادة التي القدرة

مسخرتهم لها ومنها المعرفة التي تتوقف انبعاث الارادة وانجزامها عليها الى صاحب القدرة والعلم
والارادة فذلك اذا تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم اذا ليس يمتد نظرك الى القلم
الذي تبسط المعرفة به في لوح القلوب ومنه الى الاصابع التي بينها قلب العبد ومنها الى اليد التي بها
حركت طينة آدم بها ومنها الى القدرة التي بها يتحرك التي بها اليد لتحمير الطينة ومنها الى القادر
الذي منه تبدؤ واليه يعود وذلك لانك لا تعرف معنى قولهم ان الله خلق آدم على صورته ولا معنى قوله
خمرت طينة آدم بيدي ولا قوله بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فانك لا تعلم قلما الا من قصب ولا يدا
واصابع الا من لحوم وعظام ولا صورة الا للالوان والاشكال فان انكشف لك ذلك علمت انك اذا رميت
ما رميت ولكن الله رمى حيث سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع بان نجاتك
في الرمي مثلا حتى انبعثت القدرة التي انفرد بخلقها خادمة للارادة والمعرفة خدمة بالتسخير
والاضطرار وما علمت انك مضطر الى عين الاختيار فنقول ان شئت ذلك وتشاء الله شيئا
ام ابيت وهذا الآن فيه سر تحرك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد وتلقين الشرع
وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل واشكر من كتب الاحياء فاطلبه منه ان كنت من اهله فصل
لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل والذات في اثارة حالة التوكل حتى ينضاف الى الايمان بالرحمة والجود
والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق ومتى ان تحقق جزما او ينكشف له بالبصيرة فان الله تعالى
لو خلق الخلائق كلهم على عقل احدهم بل على اكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل ثم زادهم
اضعافا لا نهاية لها علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت ولطائف
الحكمة ودقايق الخير والشر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت لما ابرموه ولم يصيبوا الا باحسن
مما هو عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا عليه او ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض
وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولان يختروا قسمة الله من رزق واجل وقدرة

وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لا جور فيه وحقا صرفا لا نقص فيه واستقامة
تامة لا اعوجاج فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصا فيرتبط به كمال اخر اعظم منه وما طنوه ضررا
فتحته نفع اعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعا ان الله تعالى جواد رحيم ابخل على الخلق
اصلا ولم يتحرك في اصلاحهم امرا وهذا الآن بحر اخر المعرفة تحرك امواجه سر القدر الذي
منع من ذكره الكاشفون وتحير في فهمه الاكثرون ولا يحققه الا العالمون ولا يدرك تاويله الا الراسخون
واتما حظ وان حظ العوام ان يعتقدوا ان كل ما يصيبهم لم يكن ليخطئهم وما اخطأهم لم يكن ليصيبهم
وان ذلك واجب الحصول بحكم المشية الازلية وانه للارادة الحكيمة ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير
مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر الركن الثاني حال
التوكل ومعناه ان تكل امرك الى الله تعالى وثق به قلبك وتطمئن بالتفويض نفسك ولا تلتفت الى غير الله
اصلا ويكون مثالك مثال من وكل في خصومة متمنعة في مجلس القاضي من علم انه اشفق الناس عليه
واقواهم على كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب
غير متفكر في كل الخصومة غير مستعين باحاد الناس لعلمه بان وكيله حسبه وكما فيه في غرضه
وانه لا يقاومه غيره فمن تحقق معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو متفرد
به لا شريك له وان جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه
بالضرورة عليه وانقطع نظره عن غيره فانه ما لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين احدهما
ضعف اليقين بما ذكرناه وضعف اليقين انما يكون لتطرق قالبه او لعدم استيلائه على القلب
فان المرء يقين لا شك فيه ولكنه اذا لا يستولي على القلب فيرى كشك لا يقين فيه الامر
الثاني ان يكون القلب في النظر ضعيفا جبانا فالجبن والجراءة عن عز والجبن توجب
كون النفس مطيعة لاوهام الخ لا شك في بطلانها فقد تخاف الانسان ان يبيت مع الميت

فول اشل او بيت مع علمه بان الله تعالى لا يحييه وان قدرته عليه كقدرته على يقلب القلم في يده العصا
حية وهو لا يخاف ذلك بل قد يشبه العمل بالعذرة فيتعذر عليه تناوله مع علمه بانه
تشبيه ماذب ولكن ذلك لجبن النفس وطاعته للاوهام وقد هاج الانسان عن شيء متدين
وان ضعف فاذكار لا يبعد ان تحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يخالطه ريب ومع ذلك ففرع
القلب على الاسباب وصل اذا عرفت ان التوكل عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل
في الحق وقطع الالتفات الى غيره فلعلم ان فيه ثلث درجات احديها ما ذكرناها وهي كالثقة بالوكيل
في الخصومة بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والثانية فوقه وهي اقوى منها تضاهي
حالة الصبي في ثقته بامه وفرحه البهائي في كل ما يصيبه وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه
في توكيل فاني عن توكيله فانه ليس تحصله بفكر وكسب وان كان لاح توكله عن نوع ادراك
واما التوكل على الوكيل بالخصومة فكما لمكتب بالفكر والنظر والثالثة وهي الاعلى ان يكون بين يدي
الكاتب بين يدي الفعال لا كالصبي فانه يزعق بامه ويتعلق بذيلها بل هذا كالصبي علم انه
وان لم يزعق بامه فانها تطلبه وان تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي
تبتدئ بارضاعه فيكون هذا الشخص فوق اسقاط الاختيار لعلمه بانه مجرى القدر فلا يبقى
فيه متسع لغير الانتظار لما يجري عليه وهذا المقام يأبى الدعاء والسؤال ولا يمتنع الدعاء في المقام الثاني
والاول ويمنع التدبير في المقام الاخير ويمنع ايضا الثاني التعلق بالوكيل فقط وفي الاول يمنع
التدبير بالتعلق بغيره ولكن لا يمنع بالطريق الذي رسمه وسنه له وامر به الركن الثالث في الاعمال
وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للهلكات وذلك خطأ لان
ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكل وندب اليه فكيف يتأتى ذلك بمحظوره وتحقيقه ان
ان سعي العبد لا يخلو اما ان يكون لامر موجود من المنفعة او حفظ الموجود او دفع الضرر

كيلا يحصل او قطعه كما يزعم الاول جلب النافع الاول جلب كل من النافع واسبابه ثلثة اما مقطوع
به واما مظنون ظنا غالبا ظاهرا يوثق به او موهوم اما المقطوع به فمثاله ان لا يمتد اليد الى
الطعام وهو جايع ويقول هذا سعي وانا متوكل او يريد الولد ولا يواقع اهله ويريد الزرع ولا يبث
البذر في هذا جهل لان سنة الله تعالى لا تتغير وقد عرفت فكان انباط هذه المسببات بهذه الاسباب
من السنة التي لا تجد لها تبديلا فانما التوكل فيه بامرين احدهما ان تعلم ان اليد والطعام والبذر
وقدرة التناول وجميع ذلك من قدرة الله تعالى والثاني ان لا تتكل عليها بقلبك بل على خالقها وكيف يتكل
على اليد وربما يفلج في الحال او يهلك الطعام وذلك تحقيق قولك لا حول ولا قوة الا بالله فالحول هي الحركة
والقوة هي القدرة فاذا كان هذا حالك فانت متوكل وان سعيت واما المظنون فكاستصحاب
الزاد في البوادي والاسفار فليس تركه شرط التوكل بل هي سنة الاولياء بل يكون الاعتماد على فضل
الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والحيوة والقدرة على التناول واما الموهومات فكالاستقصار
في حيل المعيشة واستنباط دقايق الامور فيما وذلك ثمرة الحرص وقد تحمل على اخذ الشبهة وكل
ذلك ينافض التوكل والدليل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بانهم لا يكتوون ولا يسترقون
ولم يصفهم بانهم لا يكتوون للعصاب ولا يكتسبون فما نسبته الى المسببات كنسبة الرقية
والكي فتركها من شرط التوكل الذي الثاني من تدبير الاسباب بالادخار فالمتوكل ان ورث عياله
قوت سنة فما فوقها ابطل توكله وان قنع بقوت يومه وفرق البقية فمن تمام التوكل وان ادخر
لاربعين يوما كما قال سهل التستري رح بطل توكله فلا ينال المقام المحمود الذي وعد المتوكلين وقال
الخواص رح لا يبطل واتفق على الزيادة تعليم يبطل التوكل الا اذا كان من حيل فله ان يدخر قوت
عيال سنة كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر من غذايه
لعشاءه ولا شك ان طول الامل ينافض التوكل وربما قلت دولة الادخار كانت الرتبة اعظم ولكن

سنة الله تعالى جارية بتكرر الارزاق عند تكرر السنة فادخار الكون وانتاث البيت وذلك جايز لان سنة الله تعالى لم تجر بتكرارها كتكرر الارزاق ويحتاج الدهاني كل وقت وليس كذلك الشتاء فانه لا يحتاج اليه في الصيف فاختاره على خلاف التوكل قال الله تعالى في قصة قارون انه يحشر يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فلولا فضيلة فيه كان كالشعير الضاحية كان اذا جاء الشتاء اخرجه الى الصيف ليصيفه الفن الثالث في معاشرة الاسباب الرافعة كالفرار من الناس ومن الجدار المايل ومجرى السيل ودفع المرض بالادوية وذلك ايضا درجات فاستنبطه ايضا بالقياس على ما ذكرناه

فصل اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه واما الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه الى ما لا يطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج كل واحد على حسب حاله وقوته وقد تنتهي القوة الى ان تجوز السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام اسبوعا ويقنع بالحشيش على ما مر ذكره فان ذلك لا يجوز غالبا في البادية فاما الضعيف اذا فعل ذلك تهاون عاص ملق بنفسه في تهلكة والقوي اذا حبس نفسه في محل جميل ليس فيه حشيش ولا يجاز به انساني وذلك ايضا حرام لانه خالف سنة الله تعالى في خلقه وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة الله تعالى جارية بانها لا تخلو عن الحشيش وقل ان تخلو البوادي عن الادميين فاذا قوي كان هلاكه نادرا فلم يذكر عاصيا فله ان يسافر في البادية متكلا على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر التفاته على الاسباب الجلية الواضحة

الاصل الثامن من المحبة قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله الاية وقال النبي صلعم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله تعالى ورسوله احب اليه مما سواهما وقال صلعم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله تعالى وقال ابو بكر الصديق رضي الله

من ذاق من خالص محبة الله تعالى منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر وقال الحسن من عرف الله تعالى احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن

فصل اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله وقالوا معناها ارادة ثوابه والامر والا لم يشبهه شيء ولا يشبهه شيء ولا يناسب طباعنا بوجه فكيف نحبه وانما يتصور منا ان نحب من هو جنسنا وهؤلاء محرومون عن حقايق الامور وقد كشفنا الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من الاحياء فطالعها تتصادف فيها اسرارا تخلو الكتب عنها كلها واقتنع في هذا المختصر بتلويحات واشارات

فصل اعلم ان كل لذيذ محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه فان قوي الميل يسمى عشقا ومعنى كونه مبغوضا نفرة النفس عنه لكونه مؤلما فان قوي البغض النفرة يسمى مقتا واعلم ان الاشياء التي تدرك بالحواس وجميع مشاعرك اما ان يكون موافقة لك ملايمة ومحبوبة للذيذا وتكون منافية مخالفة ومؤلمة اولا موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا يلايم فيها ولا يؤذي وكل لذيذ محبوب اي للنفس الملتذة به ميل اليه محالة واعلم ان اللذيذ يتبع الادراك والادراك ادراك ظاهر وباطن اما الظاهر فالحواس الخمس فلا جرم لذة العين في الصور الجميلة ولذة الاذن في النغمات الموزونة الطيبة ولذة الذوق والفم في الطعوم والروائح الملايمة الموافقة ولذة جملة البدن في ملامسة الناعم اللين وجملة ذلك محبوبة للنفس اي للنفس ميل اليها واما الادراك الباطن فهو اللطيفة التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة بالحس السادس ولا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال النبي صلعم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فتعلم ان الطيب والنساء فيهما حظ الشم واللمس والبصر والصلوة لا حظ فيها للحواس الخمس بل للادراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب له وان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه ومن اقتصر من لذته على الحواس

الخمس فهو بهيمية لان البهيمة تشارك فيها وانما خاصية الانسان بالتميز بالبصيرة الباطنة
ولذة البصر الظاهر في الصور الجميلة الظاهرة ولذة البصيرة الباطنة في الصور الجميلة الباطنة

فصل لعلك تقول ما الصور الجميلة الباطنة فاقول كم عندك انك لا ترحم من
تفكر حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا تدرك في تفكر تفرقة بين الملك العالم العادل
الشجاع الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الفظ الغليظ وما عندك انك اذا
اذا احكى لك شجاعة علي رضي الله وسياسة عمر رضي الله وصدق ابوبكر رضي الله عنه لا تجد في تفكر هزة
وارتياحا وميلا الى هؤلاء والى كل موصوف بخصال الكمال من نبي او صديق وعالم وكيف تنكر هذا
ومن الناس من ينتهي بغضه لارباب المذاهب وحبه طهم الى بذل المال والنفس في الذب عنهم
ونجاوز ذكر حد العشق وانت تعلم ان حبك طولا ليس بصورهم الظاهرة فانك لم تشاهدها
ولو شاهدتها لعلمت تستحسنها وان استحسنت فلو تشوهت صورهم الظاهرة وبقيت
صفاتهم المعنوية الباطنة لبقي حبك لهم فاذا فتشت عن محبوبك منهم رجع بعد التفصيل الطويل
الذي لا تحتمله هذا الكتاب الى ثلاث صفات العلم والقدرة والتنزه عن العيوب اما العلم فكعلمهم
بالله وملائكته وكتبه ورسله وعجايب ملكوته ودقايق شريعة انبيائه واما القدرة
فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهواتها وحملها على الصراط المستقيم وقدرتهم على العباد بسياستهم
وارشادهم الى الحق واما التنزه وكسلامة بواطنهم من عيب الجهل والبخل والحسد وخبايث
الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة مع حسن جميع الاخلاق وهو الحسن الباطن وهو الصورة
الباطنة التي لا تدركها البهيمية ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر ثم اذا احببت هؤلاء بهذه
الصفات وعلمت ان الله تعالى خالقه جل وعلا والمتفضل على الخلق ببعثته لتعلم ان بعثة الانبياء
حسنة من حسناته ثم انسب قدرة الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علم الله تعالى وقدرته وقدسه لتعلم

كان اجمع منهم هذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة فارفع
نظرك الان من النبيين هم الى مرسل النبيين صلى الله عليه وسلم صح

انه

انه لا قدوس سوى الواحد الحق وان شيئا ما لاح عن عيب ونقص بل الحسن جبلة اعظم انواع النقص
فاي كمال لمن لا قوام له بنفسه ولمن يهلك لنفسه موتا ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا واي علم لمن
يشكل عليه صفات باطنه في مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارح الباطنة وتفصيلها وكلها
بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض وانسبهذا الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات
ومعلومات لا نهاية لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض والى قدرة جبار
خلق السموات والارض الذي لا يخرج موجود عن قبضة قدرته في وجوده وبقايه وعدمه وانسب
ان اهدك من العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدوس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما الخير القدرة
التي اعطاؤها فلا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وما اتيتم من العلم الا قليلا فانظر الان هل يمكنك
ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد محبوبة او تنكر ان الموصوف بكمال الجلال ونعوت الجمال
حبه بعد ذلك

فصل ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والجمال والميل الى مطالعته
والفرح به والعشق له فلا تقصر عن الميل الى المنعم المحسن اليك ولا تكون اقل من الكلب فانه يحب
صاحبه الذي يحسن اليه وتامل هذا في العالم لاحد احسان اليك سوى الله تعالى وهل لاحظ
ولذة وتنعم في شيء وحرص على نعمة الا والله تعالى خالقها ومبديها ومبقيها وخلق الشهوة اليها والتلذذ
بها وتفكر في اعضائك ولطيف صنع الله تعالى فيها التحفة باحسانه اليك فتكون من اعوام الخلق
انك تقدر ان تحبه لجماله وكماله وجلاله كما تحبه الملائكة المذكورون واشغل قلبك عليه السلام احبوا
الله تعالى لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله تعالى وعند هذا تكون كالعبد السوء تحب ويحمل
للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه وذلك ضعيف جدا
بل الكمال من تحب الله تعالى لله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها وذلك
اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه ان اوحد الاوداء الى من عبدني بغير نوال لكن ليحظ
الربوبية

حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني رجاء جنتي او نارا ولم احلل جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع
ومن عيسى صلوات الله عليه بطائفة من العباد قد تخلوا وقالوا لخاف النار ونرجو الجنة فقال
مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومن قوم آخر كذلك فقالوا نجده حبا له وتعظيما لجلاله
فقال انتم اولياء الله حقا ومعكم امرت ان اقيم وصل العارف لا يحب الا الله تعالى فان احب
غيره فبحبه لله تعالى اذ قد يحب المحب عبد المحبوب واقاربه وبلده وثيابه وضيعته وتصنيفه وضيعته
وفعله وكلما ورد منه واليه نسبته وكل ما في الوجود صنع الله تعالى وتصنيفه وكل الخلق عباد الله
فان احب الرسول عم احبته لان رسول الله محبوبه وحبيبه وان احب الصحابة فلانهم محبوبو رسوله
ولانهم محبوه وعبيده والمواظبون على طاعته وان احب طعاما فلانه يقوي مركبه الذي به يصل
الى محبوبه اعني البدن وان احب الدنيا فلانها زادة الى محبوبه وان احب النظر الى الازهار والانوار
والصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه وهي دالة على جلاله وجماله ومذكرات لصفات المحامد
التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب الحسن اليه وللعلم اياه علوم الدين فيحبه لانه واسطة بينه
وبين محبوبه في ايصال علمه وحكمته اليه ويحلم انه الذي قيضه لتعليمه وارشاده وانفاق عليه
من ماله وانه لولا تسليط الدواعي اليه واضطراره بسلسلة البواعث والاغراض الى ارشاده
والانفاق عليه لما فعله واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله المنة والفضل على خلقه
وبعثه كما قال الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة فما الرسول الا عبد لله مسخر مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار ولذلك قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وتأمل سورة الفتح في قوله ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقد انزله منزلة
النظارة وقال اذا رايت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله لا بحمدي وهو معنى التسبيح
النظارة

بحمد ربه وان التفت قلبك الى فعلك وسعيك واستغفره ليتوب عليك واعلم انه ليس لك من الامر
شيء ومن هاهنا نظر عمر رضي الله عنه حيث وصل كتاب خالد بفتح مكة من خالد بن الوليد الى رسول الله
على المشركين الى ابي بكر امير المؤمنين فقال ان نصر الله المسلمين نظر خالد الى نفسه ويسميها سيفا
مسلولا على المشركين فلولا حفظ الحق كما امر لعلم ان ليس ذلك بسيفه ولكن الله تعالى يؤيد ارادته
بنصرة الاسلام فينصره بخطرة واحدة ومر خاطر رغب يلقيه الله تعالى في قلب كافر فيهزم وينظر
اليه غيره ويهزم وتعم الهزيمة فينظر خالد ومن مر في مثل حاله انه على كلمة الاسلام بصراحته
وحد سيفه ويطلع عمر رضي الله عنه ومن مر في مثل حاله من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال
ويعلم حاجة خالد في اسعده الى استغفار وان يسبح بحمد ربه اذا رأى ذلك كما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
لا موجب للمحبة الا امران احدهما الاحسان والآخر غاية الجلال والجمال بكمال الجود والحكمة والعلم
والقدرة والتقديس من العيب والنقص والاحسان الامنه والجلال والاجمال والاقدس الاله وكل ما في
العالم من حسن واحسان فهو حسنة من حسنات جوده يسوقها الى عباده بخطرة واحدة
تخلقها في قلب المحسن وكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئات جميلة يدرك بعين او شم او سمع
فاثر من اثار قدرته التي هي بعض معاني جلاله وجماله فليت شعري من عرف بالمشاهدة
المحققة والبرهان القاطع كيف يتصور ان يلتفت الى غير الله تعالى او يحب غير الله تعالى وفصل
اعلم ان لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة يتصور ان يكون
في الدنيا سواها وذكرنا ان اللذة على قدر الشهوة وقوة الشهوة على قدر الملايمة والموافقة مع
المشتهى وكان اوفق الاشياء للابدان الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة فالمعرفة
غذاء القلب واعني بالقلب الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي وقال تعالى ونفخت
فيه من روحي فاضافه الى نفسه وهذا الروح لا يكون للبهايم ولمن هو في مثل حالها من الانس بل يختص به

لان الاوفق لكل شئ خاصيته خ

الانبياء والاولياء ولذا كرقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فالمعرفة اوفق الاشياء بهذا الروح ولكل شئ خاصيته فالصوت الطيب اوفق البصر لانه ليس من خاصيته وخاصية الروح الانساني معرفة الحقايق وكلما كان المعروف اشرف كان العلم به الذ ولا اشرف من الله تعالى ولا اجل منه فمعرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجايب ملكه وملكوته والذ الاشياء عند القلب الى ان شهوة ذلك اشد الشهوات ولذلك خلق آخرا بعد سايرالشهوات وكل شهوة تاخرت فهي اقوى مما قبلها واول ما خلق شهوة الطعام ثم خلق له شهوة الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجله ويحتقر فيه ثم خلق له شهوة الرياسة والجاه والخلمة فيحتقر فيها شهوة المطعم والمنكح ثم خلق له شهوة المعرفة التي هي استيلاء على كل الموجودات فيحتقر فيه الجاه والرياسة وهي اخر شهوات الدنيا واقواها وكما ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مونة النكاح لاجلها واذا بلغ شهوة الوقاع اكب عليها وانكر شهوة الرياسة والجاه ولم يبال بفواتها في قضاء شهوة الفرج فذلك المشغوف بشهوة الجاه والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم يخلق فيه بعد شهوتها وقد ينتهي شدة شهوته على الجاه الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة الله تعالى اصلا كما يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للغذاء حتى تموت وقد ينعكس طبعه ويشتهي الطين والاشياء المضرة المهلكة وهي مقدمات الموت فذلك مرض القلب قد ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض اهلها والمقبلين عليها معرفته والابد كر الا لذة الرياسة والمطعم والمنكح وذكر الموت الذي لا يقبل الاعلاج وفي مثل قيل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وفيهم قيل امرات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون **فصل** هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة لها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم في الدار الآخرة وذلك لا يتصور في الدنيا لان لا يمكن الآن كشف

ول

82

ولا ينبغي ان تفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون فيحتاج في تقديره الى جهة ومقابلة فذلك من نظر من اقصر التصور في بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات البهايم لكن ينبغي ان تفهم ان الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجب على ما هو عليه من البهايم والخطمة والجلال والمجد في قلب العارف كما ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس في دماغك فانك تنظر اليه وان غمضت عينيك فان فتحت العين وجدت الصورة البصرية مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شئ الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل وفي ذلك ينبغي ان تعلم ان في ادراك ما لا يدخل في الخيال والحس ايضا درجتين متفاوتين في الوضوح غاية التفاوت ونسبة الثانية الى الاولى كنسبة الابصار الى التخيل فيكون الثاني غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية والرؤية لم يسم رؤية لانها في العين اذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض الاجفان حجاب عن غاية الكشف في المبصرات فكدورة الشهوات وشواغل هذا العالم الحظم حجاب عن غاية المشاهدة ولذلك قال الله تعالى لن تراني وقال لا تدركه الابصار فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة ويكون مشاهدة كل احد على قدر معرفته فكذلك يزيد لذة اولياء الله تعالى في النظر على لذة غيرهم ولذلك يتجلى الله تعالى لابي بكر خاصة ويتجلى للناس عامة ولذلك لا يراه الا العارفون لان المعرفة بدو النظر بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل ابصارا فذلك لا يقتضي مقابلة ولا جهة وسر هذا طويل فاطلبه من كتاب المحبة من الاحياء **فصل** لو كان لك معشوق وانت تراه من وراء ستر رقيق وقت الاسفار في حالة ضعف العشق في حالة اجتمعت عليك تحت ثوبك عقارب وثعابين تلدغك وتشغلك فلا يخفى ان لذتك من مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة وارتفع الستر الرقيق وانصرفت عنك العقارب والثعابين وهجم عليك الكشف المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة

ولكن انظر الى الجمال

ه

التي تحصل الآن الى ما كان قبل ذكر فذكرها فاعلم انه لا نسبة للذة النظر الى المذة المعرفة بل هي اعظم منها
كثيرا و الستر الرقيق و الكبك و العقارب شواغل الدنيا و غمومها و شهواتها و هجوم العشق سلة
الشهوة لانقطاع المضغات المنغصات عنها و اشراق الشمس و استعداد حدقة
القلب لاحتمال تمام التجلي فانه في هذه الحيوة لا يحتمله كما لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس

فصل اذا ضعفت شهوة معرفة الله تعالى كرجمة سائر الشهوات و انما خفيت معرفة الله تعالى
انما صح
مع جلالها لشدة ظهورها و مثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات و منها المبصرات و منها النور
الذي يظهر الاشياء ثم لو كانت الشمس دايمة لا يغيب و لا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود
النور و كنت تنظر الى الالوان فلا ترى الا الحمرة و السواد و البياض و اما النور فلا تدركه الا
بان تغيب الشمس او يقع له حجاب بما له ظل فتدركه باختلاف في الحال بين الظلمة و الضياء
الالوان
انه النور شيء آخر يعرض للالوان فتصير مبصرة اياه فلو تصور ستر غيبة او انوار قدرته حجاب
عن بعض الاشياء الا درك من التفاوت ما يضطر معه الى المعرفة و لكن الموجودات كلها لما
تساوت في الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلايه و لو تصور
انقطاع انوار قدرته عن السموات و الارض لانهدمت و انمحقت و ادرك في الحال من التفاوت
ما يضطر الى المعرفة بالقدرة و القادر و هذا مثال ما ذكرناه و تحته اسرار و فيه مواقع غلط فاجتهد
لعلك تقف على اسراره و لا تر تبك في مواقع غلطه فمن غلط من قال انه في كل مكان و كل من نسبه
الى مكان او جهة فقد زل و قل و رجع غاية نظره الى التعرف في محسوسات البهايم و ما يجاوز
الاجسام و علايقها و اول درجات الايمان مجاوزتها فهي بصيرة الانسان انسانا فضلا عن ان
يصير مؤمنا **فصل** اعلم ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها و من علاماتها
تقديم امر الله تعالى على هوى النفس و ذلك بالورع و رعاية حدود الشرع و من علاماتها الشوق
والتوضيح

الى لقاء الله تعالى و الخلو عن كراهة الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة فان لذة المشاهدة
بقدر كمال المعرفة فانها بدو المشاهدة فتختلف لا محالة باختلافها و من علاماتها الرضا بالقضاء
مواقع قدر الله تعالى فلنذكر في الرضا ما لا يخلو الانسان عما يصادفه في نفسه من خطرات تخطر فيظن
انها حقيقة الحب لله تعالى فان ذلك عزيز جدا **الاصل التاسع** الرضا بالقضاء قال الله تعالى رضي الله عنهم
و رضوا عنه قال النبي عليه السلام اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه و ان رضي اصطفاه و قال النبي عليه السلام
اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير و قال عليه السلام لطايفة ما انتم فقالوا مؤمنون
فقال و ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء و نشكر عند الرخاء و نرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون
و رب الكعبة و في رواية انه قال حكماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء و مما اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله
عليه ما لاوليائي و المهتمين بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ان محبتي من اوليائي ان يكونوا
رو كانين لا يعقمون و قال نبينا عليه السلام قال الله تعالى انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي و لم يشكر نعمائي
و لم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي و قال الله تعالى خلقت الخير و خلقت له اهلا و خلقت الشر و خلقت
له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير و يسرت الخير على يديه و ويل لمن خلقته للشر و يسرت الشر على يديه
و ويل ثم ويل لمن قال لم و كيف و اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود تريد و اريد و انما يكون ما اريد فان
سلمت لما اريد كفيتك ما تريد و ان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد **فصل**
قد انكر الرضا جماعة و قالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى و انما يتصور الصبر فقط و انما ابوا من انكار
المحبة و نحن نحقق لك ان الرضا بالقضاء و عامة احوال الطبع و الهوى و ذلك يتصور من ثلاثة اوجه
احدها ان يكون هيجان مشاهدة المحب و افراطها عن الاحساس بالالم و ذلك مشاهد في حب المخلوقين
و في غلبة الشهوة و الغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة فلا يحس به في الوقت و حتى ان الحريص
يصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها ثم اذا سكن غضبه و ظفر مراده و عظم المه و اذا تصور ان ينغم

ام يسير يحب يسير تصور ان ينعم ام كثير يحب قوي بالغ فان كلا واحد من الحب الالهي يقبل الزيادة والشدة
ومهما قصر مثل هذا في عشق يرجع الى الميل الى صورة مركبة من لحم ودم مشحونة بالاقذار والخبائث
وانما يدل على بعد ظاهر يخلط الخلط عليها حتى ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فليف
لا يتصور في ادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذي لا يتصور انقطاعه ونقصانه
المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصرف واوضح عند اهلها من البصر الظاهر ومن هذه الاصل
قال الجنيد رحمه قلت لسري السقطي رحمه هل يحد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا
وان ضرب بالسيف سبعين ضربة قال ضربة على اثر ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء لحبه حتى لو احب النار
احببت دخول النار قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما بقي لي فرح الا مواقع قدر الله تعالى ووضع لبعض الصوفية
والد صغير ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي
من ذهاب اشد على من ذهاب ولدي والوجه الثاني للرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن
يرضى به بعقله وايمانه لما فيه من الجزالة ثواب على البلاء كما يرضى المريض بالم الفصد وشرب الدواء
لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح حين يهدى اليه الدواء وان كان يشق عليه وكذلك يرضى التاجر بمشقة
السفر وهو خلاف طبعه وهذا ايضا يشاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف لا يتذكر في السعادة الاخروية
وروي ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الم الوجع فقالت
ان لذة ثوابه انستني مرارة وجعه فاذا من ايقن ان ثواب البلاء اعظم مما يقاسيه لم
يبعد ان يرضى به الوجه الثالث ان يعتقد ان الله تعالى في كل عجوبة لطيفة بل لطائف وذلك
يخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجري في العالم مما يظنه الجاهل تشويشا واضطرابا
وميلا عن الاستقامة ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من الخضر حين خرق سفينة الايتام وقتل
الغلام واعاد بناء الجدار كما في سورة الكهف وما كشف الخضر عن السر الذي اطلع عليه سقط تعجبه

٨٤ 84

وكان تعجبه بناء على ما اخفي عنه من تلك الاسرار وكذلك فعل الله تعالى مثاله على عبد من الراضين انه
كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله تعالى وكان في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار فجاءه
وكلب يحرسهم وديك يوقظهم فجاء ثعلب واخذ الديك فقال اخيرة وجاء ذئب وقتل الحمار فحزن اهله
وقال اخيرة ثم اصيب الكلب فمات فقال اخيرة فتعجب اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبي من حولهم وسرق
اولادهم وكان عرف مكان بعضهم بصوت الديك ومكان بعضهم بنباح الكلب ومكان بعضهم بنهيق
الحمار فقال قد علمتم ان الخيرة فيما قدره الله تعالى فلولم يهلككم الله لهلكتم وهلكنا وروي ان نبيا ان
يتعجل في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس فشرب فنسي عندها صرة فيها الف دينار
وجاء آخر فاخذ الصرة ثم جاء رجل فقير عاطر حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس
في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه وعذبه فلم تجد عنده فقتله فقال النبي عليه السلام الى هنا اخذ
الصرة ظلم اخر وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بجهازك فليس
معرفة اسرار الملك من شانك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس فمكنته من القصاص وان ابا الفارس
كان قد اخذ الف دينار من مال الصرة فرددته اليه من تركته فمن ايقن بامثال هذه الاسرار
لم يتعجب من افعال الله تعالى ولم يتعجب من جهل نفسه ولم يعلم وكيف وقد عاد تعجبه الله تعالى في ملكوته وهاهنا
وجوه اربع ينشعب عن كل واحد منها معرفة بكمال الجود والحكمة وكيفية ترتيب الاسباب الموجبة الى المسببات
ومعرفة القضاء الاول الذي هو كلمح البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب الظهور بتفاصيل القضاء وانما
ترتبت على الكمال لوجوه واحسنها وليس في الامكان احسن منها والجمال والكمال وادخر الخان تخللا
وجوه او عجز اينافض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سر القدر ومن ابى عن بذل الكرام ينطوي ضميره
الا على الرضا بكل ما يجري من الله وشرح ذلك يطول ولا رخصة فيه ايضا فلنجاوزه ونصل
لعلك تقول كيف اجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض اهل الكفر والعصيان وقد تعبدت بشرعا
وذلك

مراد الله فيهم فاعلم ان طائفة من الضعفاء يظنون ان ترك الامر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسوء
حسن الخلق وهو محض الجهل بل عليك ان ترضى وان تكره جميعا والرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا
على شئ واحد من وجه واحد ولا يتناقض ان يقتل عدوك الذى هو عدو لله وعدوك ايضا فترضاه من حيث
انه عدو لله وتكرهه من حيث انه عدو لك فالك للمعصية وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه بقضائه
ومشيته وهو من هذا الوجه مرضى به ووجه الى العاصى من حيث انه صفته وكسبه وعلامة كونه ممقوتا
من الله تعالى انه من هذا الوجه مكروه وقد تجد كراهة الله بغضه من يبغضه الله من المخالفين لامره فعليك
بما تجد كراهة به والامثال له ولو قال لك محبوبك الى الحديدان امتحن حبك بان اضرب عبدى وادهقه الى
ان يشتمنى فمن ابغضه فهو صحيح ومن احبه فهو عدو فيمكنك ان تبغض عبده اذا شتمه مع انك تعلم
انه الذى اضطره الى الشتم وكان ذلك مرادا منه فيقول انما فعله فى الشتم فارضى به من حيث انه تدبير
فعبدك ومراد ممن اردت ابعاده واما شتمه من حيث هو صفته وعلامة عداوته فانى ابغضه
لانى احبك فابغض لامحالة من عليه علامة عداوتك وهذه دقيقة تزل فيها اقدام الضعفاء فلتذكر
يتبعها فتون فيه وصل لذلك ينبغى ان لا تظن ان معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء بل ترك الشر هو
الذى ارسل اليك يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس بل تعبدك الله تعالى بالدعاء ليستخرج به من
قلبك صفاء الذكر وفتوح القلب ورقته لتستعد به لقبول الالطاف والانوار فمن جملة الرضا بقضاياه
ان يتوصل الى محبوباته باسبابه بل ترك الاسباب مخالفة للمحبوبة ومناقضة
لرضاه فليس من الرضا للعطشان ان لا يمد اليد الى الماء البارد ونعلم انه رضى بالعطش الذى هو
من قضاء الله تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبته ان يزال العطش بالماء فليس من الرضا بالقضاء ما
يوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى اصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله تعالى اظهارا
واظهار امر بذل الجهد فى التوصل الى محاب الله تعالى من عباده وذلك لحفظ الاوامر وترك النواهى الاصل

الحاشر

الحاشر ذكر الموت وحقيقته واصنافه العقوبات الروحانية اعلم ان المقامات التسع التى ذكرناها ليست على درجة
واحدة بل بعضها مقصودة بذاتها كالمحبة والرضا فانها اعلى المقامات وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة
والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق الاقبال على طريق القرب والزهد ترك الشاغل عن القرب
والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل والصبر جهاد مع جند الشهوات القاطعة لطريق القرب
وكل ذلك غير مطلوب لذاتها بل المطلوب القرب وذلك بالمعرفة والمحبة فانهما مطلوبة لذاتها لا لغيرها
ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الامور العظيمة
النفع فيه ذكر الموت فلذلك ورد به الشرع ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به تنخلع حب الدنيا وتنقطع
علاقة القلب عنها قال الله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم وقال النبى عليه السلام اكثروا من ذكر هاذم
اللذات وقال من كره لقاء الله كره الله لقاءه وقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله هل نحشر مع الشهداء احد فانع
من يتذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة ومر رسول الله صلعم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال اعلم
شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قيل وما هو قال الموت قال اما لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم
ابن ادم لما اكلتم سمينا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وقال عليه السلام تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا
فالصامت الموت والناطق القرآن وذكر رجل عند النبى عليه السلام رجلا واحسن الثناء عليه قال وكيف كان ذكر
صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال ان صاحبكم ليس هناك وقال رجل
من الانصار يا رسول الله من اكيس الناس واكرم الناس فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا
اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة وصل اعلم ان الموت عظيم هائل وما
بعده اعظم منه وفى ذكره منفعة عظيمة فانه ينغص الدنيا ويبغضها الى القلب ويقطعها عن كل
حسنة كما ان حبها راس كل خطيئة والعارف فى ذكره فايدان احديهما النفرة عن الدنيا والاخرى
الشوق الى الاخرة فان المحب لامحالة مشتاق ومعنى الشوق فى الحسنى يحتاج استكمال الخيال

بالترقي الى الشاهدة فان المشتاق اليه مدرك للاصالة بالخيال وغايب عن الابصار فالذكر للعارف
موقد كانها نظر من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وضعف النور وهو مشتاق الى استكمال ذلك
بالتجلي والشاهدة ويعلم ان ذكر لا يكون الا بالموت فذكر لا يكره الموت لانه لقاء الله تعالى ولا سبب
لاقبال الخلق على الدنيا الا قلة التفكر في الموت وطريق التفكر فيه ان يفرغ الانسان قلبه من كل فكر سواه
ويجلسه في خلوة ويباشر ذكر الموت بصميم قلبه ويتفكر اولا في اقرانه واشكاله الذين مضوا ويتذكر ثم
واحدا واحدا ويتذكر حرصهم واملهم وركونهم الى الجاه والمال ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم
على فوات العمر وتضييعه ثم يتفكر في اجسادهم كيف تمزقت التراب وصارت جيفة يأكلها الدود ان
ثم يرجع الى نفسه ويعلم انه كواحد منهم املا كاملهم ومصرعه كمصرعهم ثم ينظر في اعضائه بنظر كيف
تتفتت واحدة واحدة كيف يأكلها الدود الى لسانه كيف يتهرى ويصير جيفة فيه فاذا فعلت ذلك تنغص
عليك الدنيا وكنت سعيدا اه السعيد من وعظ بغيره وبذلك قال رسول الله ص انما الناس كان الموت
فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين شيعنا من الاموات سفر عن قريب
اليناء يعون ثم اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل
جائحة **وصل** اصل الغفلة عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل وقد قال النبي ص لعبد الله
ابن عمر رضي اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح
وخذ من حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وقال ص ان اخوف
ما اخاف على امتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل واشترى اسامة رضي الله عنه وليدة الى شهرين بمائة
فقال ص لا تعجبون من اسامة اشترى الى شهرين ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت
عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت انه واضعها حتى اقبض
ولا لقمت لقمة الى سيغها حتى اغص بها موت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى

والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال ص نجا اول هذه الامة باليقين والزهد وهلك
آخر هذه الامة بالبخل والامل وقال ص اكثركم تحب ان يدخل الجنة قالوا نعم قال قصروا امانيكم
واجعلوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء والله اعلم **وصل** اعلم ان العارف
الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بالحالة الدنيا التوحيد لا التفات الى ما مضى ولا
الى الحال من حيث انه حال بل هو وقته بمعنى انه كالمتحد بمذكوره لست اقول متحد بالذات فلا تغفل
فتغلط او تسيء الظن وكذلك يفارق قلبه الخوف والرجاء لانهما سوطان يسوق بهما العبد الى هذه الحالة الخ
هو ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد بذكر الموت ليقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت والعارف
قد مات مرة عن حق الدنيا وهي حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الاخرة ايضا فضلا
عن الدنيا بل وقد تغص عليه ما سوى الله تعالى وما يبقى له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد يقينا وضوحا
لا ليزداد يقينا وهو معنى قول علي رض لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من وراء
ستر لا يزداد بزوال الستر يقينا بل وضوحا فقط فاذا ذكر الموت لحاجة اليه من لقلبه التفات
الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يحتكن بهمته عليها ولذلك قال ص ان روح القدس نفث في روعي
احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به **وصل**
لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحيوة ما لم تعرف
حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى الاشياء عنك ولا تطمع لك ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك
واعني بنفسك روحك التي هي خاصية الامر المضافة الى الله تعالى فطر قابل الروح من امر ربه وفي قطر ونفخ
فيه من روحي دون الروح الحيواني اللطيف الذي هو حامل قوة الحس والحركة التي تنبعث من القلب وتنشر
في جملة البدن في تجاويف العروق الضوارب فيفيض منها نور الحس الباصر على العين ونور السمع
على الاذن وكذا سائر القوى على الاشر كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا اوقد في جوفه فان هذه

الروح تشارك البهايم فيها وتحقق بالموت لانه محال اعتدال تصحبه عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل
المزاج بطل كما يبطل النور الفايض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه وبالنفخ فيه و
وبانقطاع الغذاء عن الحيوان تفارقه هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتيلة كالنفخ في السراج
وهذه هي الروح التي يتصرف في تحديلها وتقويتها بعلم الطب والمحل لهذه الروح المعرفة والامانة بل المحل الامانة
الروح الخاصة للانسان ونعني بالامانة تقدير مراد المكلفين بأن يتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة
والمعصية وهذه الروح لا تموت ولا تفنى بل يبقى بعد الموت اما في نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة دائمة
محل المعرفة والتراب لا يأكل محل الايمان والمعرفة اصلا كما نطقت به الاخبار وشهدت له شواهد
الاستبصار وهم يا ذن الشرع في ذكر تحقيق صفته اذ لا تحتمله الا الراسخون في العلم وكيف يذكر ولب من
من عجايب الاصطفاء ما لم تحتمله اكثر عقول الخلق فحق الله تعالى فلا تطمع في ذكر حقيقته وانتظر تلويحا بينه
يسيرا في ذكر صفته بعد الموت وصل هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت
حالها فقط ويتبدل منطها فتترقى من منزل الى منزل القبر في حقها اما روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها
اوايل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة
والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصايد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة اذ
يتخلص من ثقلها وحملها وتذكر قالوا عدم الموت تحفة الموتى ان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت
فيه الحسرة والندامة والالم فلذلك يقول المقصر ارجعون لعلي اعمل صالحا بل كان قد الف الشبكة
واحبها وتعلق قلبها بها وحسن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له من العذاب ضعفان احدهما
حسرة فوات الصيد الذي لا يقتنص الا بشبكة البدن والثاني زوال الشبكة مع تعلق القلب بها والفها
وهذا ابتداء من مبادي معرفة عذاب القبر استقصيته تحقيقه قطعا فصل لعلك تشتهي الاستقصا

ان

المفضي الى التحقيق فاعلم ان هذا الكتاب لا تحتمله فاقنع منه بانموذج يسير وافهم ان معنى الموت زمانة
البدن وانت تعرف ان معنى زمانة اليد خروجها عن طاعتك مع وجود شخصها بسبب بطلان القوة
التي بواسطتها تستعمل البدن فافهم ان للموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء بسبب بطلان قواها فيسلب
الموت منك يدك ورجلك وعينك وساير حواسك وانت باق في اي حقيقتك التي بها انت بها انت فانك
الآن الانسان الذي كنت في الصبي والحلم لم يبق فيك من تلك الاجسام شيء بل انحل كلها وحصل
بالغذاء بدلها وانت انت وجدك غير ذلك الجسد فان كان لك معشوق لا تنال الا بالحواس ولا
فرق في عذاب العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يفقأ عينه او يسلب عينه بان تحمل
الى موضع حتى لا يراه فان الم من عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه وجاريته
وثيابه يتألم بفراقها وسواء سلبت هذه الاشياء عنه او سلب عينها بان حمل الى موضع آخر
وحيل بينه وبينها فالموت يسلبك عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك بقدر عشقك لها
والموت يحول بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فيكون لذتك القدوم على الله تعالى
بقدر حبك له وانسك بذكره ولاجل هذا نهيك وقال الله انا بذكر الا لازم فالزم بذكره واجمع العبارات
عن نعيم الجنة ان اهم فيها ما يشتهون واجمع العبارات لعذاب الاخرة قطع وحيل بينهم وبين ما يشتهون
والملذ الا الشهوة ولكن عند مصادمة المشتهى لا مبرم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهى لا ينبغي
ان تعتبر الآن وتقول اذا كان هذا سبب عذاب القبر فانا في امان منه اذ لا علاقة بيني وبين متاع
الدنيا فان هذا لا يدريك بالحقيقة ما لم يطرح الدنيا وتخرج عنها بالكلية فكم من رجل باع جارية
على ظن انه لا علاقة بينه وبينها فلما اخذها المشتري اشتعل في قلبه من نيران الفراق واحترق بها
احتراقا ربما ألقى نفسه في الماء والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها فلذلك يكون حال الكل في القبر كحال
ما يتعلق به قلبك من الدنيا ولذلك قالوا عدم ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم منه

وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وينكشف بالموت عظم قدر ما فات
منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت سبب الانكشاف ما لم تكن المكاشفة انكشف
قبله كما ان النوم سبب انكشاف الغيب بمثال او غير مثال والنوم اخ الموت ولكنه دونه بكثير فهذا ان يكفر
عذابا بان يتضاعف على كل ميت كان الله احب اليه من الله تعالى وكان انسه بغير الله اكثر من انسه
بالله وهما ضربان بحر فهما ان عرفت بالحقيقة وهو الروح وبقاءه بعد الموت وعلائقه وما يضاده
بالطبع وما يوافقه وصل لعلك تقول المشهور عند اهل الحلم ان الانسان بعدم
بالموت ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بديدان وعقارب وحيات وما ذكرته بخلاف ذلك فاعلم
ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويفلج الاستبصار جميعا
اما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلا تدركه ما لم تستبصر واما حرمانه عن التقليد فيعرفه
بتلاوة الآيات والاخبار قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند
ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله الاية هذا في السعداء واما في الاشقياء فقد نادى يوم
بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا امكان يقول يا فلان يذكر واحدا من صناديدهم فقد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتنادي هم وهم اموات فقال ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب وقال عليه السلام الموت هو القيامة ومن مات فقد قامت
قيامته واراد بهذه القيمة الصغرى ان ارحتك فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الاحياء والاخبار في الدلالة
على بقاء ارواح الموتى وشعورهم بما يجري في هذا العالم ايضا فصل اما قولك ان المشهور من عذاب
القبر التام بالديدان والحقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكن اذا كنا عاجزين عن فهم ذلك
سره وحقيقته الا اذا انهمك على انموذج منه تشويقا لك الى معرفة الحقايق والتشمر للاستعداد للامر
الآخرة فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون فقد قال عليه السلام المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا ويضيء له كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا
قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره سلط تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة
وتسعون حية لكل حية تسع رؤوس تنفخ في بدنه وتلحسه وتنفخ في جسمه الى يوم يبعثون فانظر
الى هذا الحديث واعلم ان هذا حق على الوجه الذي شاهده ارباب البصائر ببصيرة اوضح من البصر الظاهر والجاهل
ينكره اذ يقول الخلق في قبره فلا ارى خلقا اصلا فليعلم الجاهل ان التنين ليس خارجا عن ذات الميت اعني
ذات روحه لا ذات جسده فان الروح هو الذي تتم به التكليف وتتنعم بالكمال معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن
يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت وليتحقق ان هذا التنين
مركب من صفاته وعدد رؤوسه بقدر عدد اخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا واصل هذا التنين
حب الدنيا وتتشعب عنه رؤوس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر
والثروة والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء واصل ذلك كله علوم البصيرة وكذلك كثرة
رؤوس الدراعة اما الخصال المذكورة فهي تسعة وتسعون انما يوقف عليه بنور النبوة فقط فهذا
التنين متمكن في صميم فؤاد الكافر لا لمجرد جهله بالفكر بل الجهل داع الى الكفر كما قال الله تعالى ذلك بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وقال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم الآية وهذا
التنين لو كان كما يظنه خارجا من ذات الميت لكان اهون اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه التنين
او ينحرف هو عنه لابد وهو متمكن من صميم فؤاده تلدغه التنين لدغا اعظم مما تفهمه من لدغ التنين
وهو بعينه وصفاته التي كانت معه في حيوته كما ان التنين الذي تلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته
هو بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب
ما كان سبب لذته سبب ألمه وهذا سر قول عليه السلام انما هي اعمالكم ترد اليكم في قبوركم يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا

ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد بل سر قولهم كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ايها الجحيم
في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لترونها قبل ان تدركوها بعين اليقين بل هو سر قولهم كلا وتستحلون
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال هي محيطة وسر قولهم انا اعتدنا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها وهو بعد يحيط بهم وهو معنى قولهم من قال ان الجنة والنار مخلوقتان
وقد انطق الله لسانه بالحق ولعلك لا تطلع على سر ما يقوله فانك لم تفهم بعضه معنى القرآن كذا فليس لك
نصيب من القرآن الا وشره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا شعيرة الذي هو التبن والقرآن غذاء
الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن اعتدالهم به على قدر درجاتهم وفي كل غذاء صحة وخيانة وتبن وحرص
الحمار على التبن اشد منه من الخبز المتخذ من اللب وانت شديد الحرص على ان لا تفارق درجة البهيمة
ولا ترقى الى درجة الانسانية بل الى الملكية فدونك والاسراح في رياض القرآن ففيه متاع لكم ولانعامكم
فصل فان قلت فهل يتمثل هذه التي تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهي ادراك البصر
ام موتا محضا فانه كتمثل العاشق اذا خيل بينه وبين معشوقه فاقول الابل يتمثل لها تشاهده
ولكن تمثلا دون تمثلا للعاشق وحاليتك من هو بعد في عالم الشهادة اذا نظرت فيه فان ذكرك من عالم الملكوت
نعم العاشق ايضا قد ينام فيتمثل له حاله في المنام فربما يرى حية تلدغ صدره فانه يجد بالنوم
من عالم الشهادة قليلا فيتمثل له حقايق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم الملكوت
والموت ابلغ في الكشف من النوم لانه اقمع لنوازع الحس والخيال وابلغ في تجريد جوهر الروح عن غواشي
هذا العالم فذلك يكون ذلك التمثل تاما متحققا ايها الانسان فانه يوم لا ينتبه منه واعلم
ان المتيقظ بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فلذلك غير جائز من وجود الحية
في حقه وحصول الالم به فلذلك حال الميت في القبر فصل لعلك تقول قد بدعت قولا مخالفا
للمشهور منكرا عند الجمهور اذ زعمت ان انواع عذاب الآخرة يدركها بنور البصيرة والمشاهدة ادراكا

مجاوزا لحد تقليد الشريعة فهل يمكنك ان تذكر حرصا في العذاب وتفاصيله فاعلم ان مخالفتي
للجمهور لا انكره وكيف ينكر مخالفة المسافر للجمهور فان الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط
رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاقرب من منازل وجودهم وانما يسافر منهم الاحاد واعلم
ان البلد منزل البدن والقالب وانما منازل الروح الانساني عوالم الادراكات والمحسوسات منزله الاقرب والمتخيلات
والمتخيلات منزله الثاني والموهومات منزله الثالث وما دام الانسان في المنزل الاقرب فهو مردود وفراشه
فان فراش النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الاحساس لما تهافت
على النار مرة بعد اخرى وقد اذي بها اولا فان الطير وسائر الحيوان اذا اذي في موضع بالضرب يفر
منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس وما دام الانسان
في المنزل الثالث بعد فهو بهيمة ناقصة انما حذره ان يحذر شيئا اذي به مرة وما لم يتاذ بشيء فلا يدري
انه يحذر منه وما دام في المنزل الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد يحذر
من الاسد اذا رآه اولا وان لم يتاذ به قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتاذى به مرة بل الشاة ترى
الذيب اولا فتحذره وترى الجمل والبقر وما اعظم منه شكلا واهول منه صورة ولا تحذر بها اذ ليس
من طبعها ايذاؤها وهو لاء الى الآن تشارك البهايم فبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية فيدرك
اشياء لا يدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار
حذر الشاة على ما تشاهده في الحال من الذيب ومن هنا يصير الى حقيقة الانسانية والحقيقة هي الروح
المنسوبة الى الله تعالى في قوله ونفخت فيه من روحي وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح
المجردة عن كسوة التلبيد وغاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له اما عوالم المحسوسات والمتخيلات
والموهومات فمتناهية لانها مجاورة للاجسام وملتصقة بها والاجسام لا يتصور ان يكون غير متناهية
والسر في هذا العالم مثال المشي الى الخيال على الماشي يترقى عند نعم ولو ان احدا يقينا المشي في الهواء واما التردد

مثال الخيال المشي على الماء

على المحسوسات فهو كالمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم بحري مجرى السفينة وفيها يتولد دويبات الشياطين
حتى تجاوز الانسان عوالم البهايم فينتهي الى عالم الشياطين ومنه يسافر الى عالم الملائكة وقد يترقى فيه ويستقر
وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل للحدق ولكن الحدق المنسوب الى الله تعالى يوجد في هذا العالم الرابع
وهو عالم الارواح وهو قولهم ان الحدق هدى الله ومقام كل انسان ومحله ومنزله في العلو والسفل
بقدر ادراكه وهي معنى قول علي رضي الله عنه الناس ابناء ما يحسنون فالانسان بين ان يكون دودا او حمارا
او سبعا او شيطانا ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا والملائكة درجات فمنهم الارضية ومنهم السماوية ومنهم المقربون
الذين فتحوا عن الالتفات الى السماء والارض المقاصرون نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة
وهم ابدا في دار البقاء اذ ملحوظهم على الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفناء مصيره اعني السماء والارض وما
يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وهذه العوالم منازل لسفر الانسانية يترقى من خضيض درجة البهايم الى يفاع رتبة الملائكة
ثم يترقى من رتبتهم الى الرتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسجون الوجه ويقدسونه
بالليل والنهار لا يفترون فانظر الآن الى اخسة الانسان وشرفه والى بعد ما بين مقاريه في مخارجه والى انحطاط درجاته
في تسفله وكل الادميين مردوهون الى اسفل سافلين ثم الذين امنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فاظهم
اجر غير ممنون وهو جمال الوجه ولهذا فهم معنى قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان لانه لان معنى الامانة التعرض للعهدة والخطر ولا خطر اعظم من كمال الارض
وهم البهايم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثالث ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى خضيض
عالم البهايم وانظر الى الانسان وعجايب عوالمه كيف يعرج الى السماء العلى رقيا ويهوي الى ارض الحقارة مويا
متقلبا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلد به في الوجود غيره فيا مسكين كيف تمدني بالعاقبة وتحوني في مجاوزة
الجمهور ومخالفة المشهور وبناكر فرح وسرور ان الذي يكرهون منه ذلك الذي هو قلبه فاطوطوبى للمدبرين

وحقايقها وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى حايط فقال لك قايل ما يحملك ان تفعل ذلك والحجارة
ترد من الحايط ويقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فقد غيبت احد اقوالهم كلام قلت معاذ الله
ان افعل ذلك فقال ادخل داره فدخلت فاذا هو كذلك فانظر كيف تغضب وتحترق قلبك تحسرا
على عملك الذي ظننته هينا وهو عند الله عظيم وهذا روح حدقة اخيك فانك تحسده ولا
تضره وتتعلل عليه ويهلك دينك ويقل حسناتك الى ديوانه وهي قرة عينك لانه سبب سعادة
الابد فهي اعز من حدقة الولد فاذا انكشف لك هذه الروح فانظر كيف تحترق بدوان الفضيحة وبدن
وبدنك تعزل عنده والقران كثيرا ما يعبر عن الارواح ولذلك قال تعالى في الغيبة احب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال الله تعالى في الحد يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فيكفيك
من الامثلة مثال الاذان والغيبة والحد فقس عليه كل فعل نهى الشرع عنه فذلك هو القبيح روح
الفعل وحقيقته وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة
من مشكاة نور الله تعالى وعن هذا عبر الشرع حيث قال تحرض الدنيا يوم القيمة بصورة عجوز
شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله منها فيقال هذه دنياكم
التي كنتم تتهالكون عليها فيصادفون في نفوسهم من الحزن والفضيحة ما يوترون النار
عليهم ان اردت ان تفهم كيفية هذه الجملة فاسمع حكاية رجل من ابناء الملوك زوج باحدى امراته
من بنات الملوك فشرب تلك الليلة فسكر واخطا باب الحجرة فخرج من الدار وضل فراى
ضوء سراج فقصده على ظن انها حجرته فدخل الموضع فراى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه
فظن انهم نيام فطلب العروس فراى واحدا نائما في ثياب جديدة فظن انه العروس فضاجعها
واخذ يقبلها ويغشاها ويجول لسانه في فيها ويمتص ريقها متلذذا ابدانك في سكره غاية
التلذذ ويتمسح بالرطوبات فلما افاق وعرف ان نصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر اذا خرته

له فلما اصبح افاق فاذا هو في نار وسوء المجوس واذا البنام موتى وهذه عجوز شوهاء قريبة المهد
بالموت عليها الحنوط وكفنها الحديد فصاح في غمه وانفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه
من قاذورات اسافلها فاذا هو من فوقه الى قدمه في قاذورات تقذر في غشيانه اياها وابتلاعه
ريقها فهج على قلبه من الخزي ما تمنى ان تخسف الارض حتى ينسى ما جرى عليه ولا يزال يحاوره ذكره
ولا ينساه اصلا بل يجد نفسه ما عاش من سوء محضر ابوطلوات بينها وبينه امدا بعيدا وبدنه يعزا من
هذه المخازي ويحدث له الآلام وهو في عذاب دايم في الغثيان والقيء وتذكر تلك المخازي وتحذران
يطلع عليه احد فيتضاعف حزنه فاذا ابا بيه وجميع حشمه قد جاؤا في طلبه واطلعوا على جميع مخازيه
فهذه حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهي معنى قوله تعالى وحصل ما في الصدور
اي يعرض عليه ما حاصلها اي روحها وحقيقتها ومعنى قوله تعالى يوم تبلى السرائر اي تكشف عن اسرار الاعمال
وارواحها القبيحة او الحسنة وكما ان الذلة طعمة رديئة اقذر وانتن فالذ تمتعات الدنيا حاصلها
وسرها في الآخرة اقبح وافضح ولذلك شبه رسول الله نعم الدنيا بالطعام وعاقبته بالريح الصنف
الثالث حرة قوة المحبوبات فقد نفسك مع جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها جارة
لاترى الوانها فقال اقرانك احمل من هذا ما تطيق فحافا علة يكون فيها ما ينتفع بها اذا خرجنا من
الظلمة وقلت فما اذا اصنع بها احمل في الثاني ثقلها واكد بنفسي فيها وانا عاقبتها ما في هذا الامر على عظيم
فان العاقل لا يترك الراحة تقدما يتوقعه نسية ولا يستيقنه فاخذ كل واحد من اقرانك ما اطاق اخذه
واعرضت تستحمقهم وتسخر بهم لانهم ينوؤن تحت اعبايه وتقله وانت مرفه في الطريق تتعدو وتضحك
عليهم في منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحد الف دينار فاقبلوا على ابعاضها
وتوصلوا بها الى الجاه والنعمة واصبحوا ملوك الارض فاخذوك فاستخروك لتحمد وانهم لينفقوا عليك
في كل يوم قدر اسير من فضلات الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك حزب

ولا تقعقع بعد هذا يا ثاني

ولا تقعقع بعد هذا يا ثاني وصل الهام مطالبتك اياي بتفصيل عذاب الآخرة وذكر اصنافه
فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الى الملال والتطويل واقنع بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة
ظهورا واضح من العيان ان اصناف عذاب الآخرة ثلثة اعني الروحاني منها حرقة المشتهيات وحزن
فجلة المفضحات وحسرة فوات المحبوبات فهذه ثلثة انواع من النيران الروحانية يتعاقب على الروح
من اثر الحبوة الدنيا الى ان ينتهي الى مقاسات النار الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر فخذ الآن شرح
هذه الاوصاف الصنف الاول حرقة فرقة المشتهيات فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل
التنين الذي وصفة الشرع عدد رؤسه وهي بعدد الشهوات ورذايل الصفات تلدغ صميم الفؤاد دماغا
موليا وان كان البدن بعد عند فقد في عالم الملكوت هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع الملاذ
متمتعا بها مشتهرا بالوجوه الحسان منها لكل عليها مشحوفا بالامانة واستعباد الخلق بالطاعة
مطلعا فيهم غافصه واسترقه واستعمله على ملاء من رعيته في تحمل الكلاب وصار يتمتع بنعمه
وليتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزاينه وذخاير اموالهم فيفرقها على اعدائه ومخاذيه
وانظر الآن هل ترى على قلبه تنينا ذا رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه يعزا عنه ويريد ان
يبتلي بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا فربما يشم به قليلا من رايحة الحطيمة التي فيها
نار الله الموقدة التي لا تطلع الا على الافيدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده واعلم
ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التنين وعدد الرؤس بقدر الشهوات فهذا من كان افقر
وتمتعه بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف ومن كان علاقته مع الدنيا اصلا فلا عقاب عليه اصلا الصنف
الثاني حزن فجلة المفضحات فقد رجلا خفيرا ذليلا فقيرا عاجزا قربه ملك من الملوك
ورفعه وقواه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حرمه وجملة خزانته اعتمادا
على امانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يخون في خزانته ويفجر باهل الملك وبناته وسراياته

وهو في جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته فبينما هو في غمرة تجوره وخيانته اذ لاحظ
روزنة فرأى فيها الملك مطلعا عليه منها وعلم ان الملك كان يطلع عليه كل يوم وليلة لكنه كان يغض عنه
ويمهله حتى يزداد خبثا وفجورا ويزداد استحقاقا لان يصب عليه في الآخرة انواع العذاب
صبا فانظر الان الى قلبه كيف يحترق قلبه بنار الخزي والخجلة وبدنه بمعذرته وكيف يؤمر به الى النار
بدنه عند صحي وبكل عذاب وبنكتم خزيه فذكر انت تتعاطى في الدنيا اعمالا هي مشابهة لتلك وتلك
الاعمال ارواح وحقايق خبيثة قبيحة وانت جاهل عنها حتى تقول فيتكشف لك في الآخرة في صورتها القبيحة
فتختزي وتخجل فجلة توبيخها عليها الا ما يدنيه فان قلت كيف ينكشف الى ارواحها وحقايقها
فاعلم انه لك لا تفهم الاعمال فمن جملته ان يوقظ الموذن في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام
ان في يده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء فيقول له ابن سيرين هذا رايته لانك قبل الصبح
فتأمل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس انكشف له روح عمله لكن لما كان يجد في عالم
التخيل لان التمام لا يزول تخيله غشاه الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم والختم وكذلك مثال ادل
على روح العمل من نفس الاذان لان عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة فالتلبيس فيه اضعف قليلا
وليس يخلو من تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير ولو قال قايل لعل هذا الموذن اما يستحق ان تختم افواه
الرجال وفروج النساء فيقول معاذ الله ان افعل هذا فلان اقدم ويضرب عنقي احب الي من ان افعل
ذلك فهو ينكر لانه يجهل من انه يعمل لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء وكذلك لو اكلت لحما
طيبا على اعتقاد انه لحم طير فقال قايل اما يستحق ان تاكل لحم اخيك الميت فلا يقلق معاذ الله
ان افعل ذلك والان اموت جوعا اهون علي من ذلك فنظرت فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم
اليك وليس عليك فانظر كيف تختزي وتفضح به في بدنك في محل مآله فذلك يدري المختاب نفسه
في الآخرة ولان روح الغيبة تمزق اعراض الاخوان واستفكه بها وفي عالم الآخرة ينكشف ارواح الاشياء

وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فتقول لهم أفيضوا علينا
من الماء مما أفيض عليكم فيقولون لكم هما حرام عليكم لم تكن تسخرون منا وتضحكون علينا فلا بد وان
نسخر اليوم منكم كما سخرتم منا فلا ينال ان يقطع نياط قلبك من التحسر ولا ينفعك التحسر ولكن
ولكن تتسلى وتقول الموت يخلصني من هذا فاعلم ان حال تاكل الطعام في الآخرة كحالك ينكشف لك ولكن
لا مطمع في الموت المخلص بل هي حسرة ابدية دايمة والالم يتضاعف كل يوم وان كان البدن خدر عنه
وعند الحيرة يقول تعالى فيضوا علينا من الماء وما رزقكم قالوا ان الله حرمهما على الكافرين وكذلك لانه
يفيض على اهل المعرفة والطاعة من انوار جمال الوجه ما تحصل به من اللذة مبلغ لا يوازيه نعيم الدنيا
بل يعطى اخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر لانه تضاعف المقدار بالمساحة بل
يتضاعف الارواح كما ان الجوهر يكون عشرة امثال الفرس اما بالوزن والمقدار بل بروح المالية اذ قيمته
عشرة امثاله واعلم ان تحريم تلك الاذات واضافتها عليهم ليس جنس تحريم الرجل نعمة على عبده
بغضب او باختيار حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى الابيض ان يكون اسود في حالة البياض
وعلى الحمار ان يكون بارد في حالة الحرارة وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك ان يقول المعلم الحاذق
لرجل شيخ هرم من الجهال الذي كان بليدا في اصل الفطرة ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة افض على قلبي
من دقايق علوم كل فيقول ان الله حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء
اصلي وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وامور اخر كثيرة وان بطل الاستعداد وفات
استحالة الافاضة كما يستحيل افاضة الحرارة على البرودة مع بقاء البرودة فلا تظن ان الله يغضب
عليك فيعاقبك انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فيقول لم يحدثني ولم يضربني حتى يلزم
العذاب من المحصية كما يلزم الموت من السم واعلم ان هذه الحسرة دايمة لان منشأها تضاد صفتين
لا يزول تضادهما ابدا مثاله ان الذي يعلق بحبل في عنقه او رجله انما يتالم لتضاد الصفتين لا لصورة

الجبل والتحلق ولكن صفته الصفته الطبعية تطلب الهوى الى اسفل والمنع القهرى بالحبل عانع الصفة الطبعية
فيتولد الالم فيه من تمانعهما وكذلك روح الانسانى من الروح الروحانى الالهى باصل فطرته فيه بحكم الطبع حنين
وشوق الى عالم العلو عالم الارواح والى مرافقة الملاء الاعلى ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها بجذبها الى اسفل
السافلين وهى شهوات الدنيا وهى صفة عارضة قهرت الصفة الطبعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والالم يتولد
من بينهما والنار ايضا انما تولم للمضادة فان الملايم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق
بين الاجزاء ولو لم يكن قد رايت النار وسمعت فحدثت بان شيا لطيفا ليتنا ما تماس بدنك فيولمك
لاستنكرته وقلت شتى الاصلابة فيه كيف يولم باللمس واعلم ان تضاد مولم سواء كان بسبب خارج او داخل
فان سم العقرب يبقى في العضو ويولم بفرط برودته للمضادة لحرارة البدن فلا تظنن ان الالام كلها تدخل
من خارج فان قلت ان العقرب لدغت من خارج فاعلم ان الم السن والم الحية لا يقصر عنه وانما سببه انصباب
خلط داخل مضاد لطباع الجزء الذى وليه ذلك بالموت من لدغ العقرب والحية واعلم ان تضاد
الصفات في القلب يولم القلب ايلاما لا ينقص عما يولم السن والدبر ومثاله في اضعف الصفات ان البخيل
المراى اذا طلب منه عطية عاملا من الناس عند من يريد ان يحرفوه بالسخاء يتالم قلبه لتضاد صفتين في
البخيل يتقاضاه ان لا يعطى وحب الجاه يقتضاه ان يعطى وقلبه بين هاتين الصفتين كمتخصص ينشر بمنشار
بنصفين وهذا مثال حسرة الفوت وعظمها بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الغايت ولا تعلم بالحقيقة
هذا العالم بل شيء عالم الكشف وهو نهار عظيم وانتم عنه معرضون واعلم ان هذه الاصناف الثلثة طالما تريب
فالصنف الاقل الذى يلقاه الميت المعذب بمر حرقة فرقة المشتهيات وذكرتين حب الدنيا والذكر
اضيف الى القبر وانما سبق هذا الان اغلب الاشياء على قلب الميت هذه الحالة فراق ما يفوته في الدنيا من جاه
ومال ومنصب ونعمة ثم بعد ذلك ينكشف له ارواح الاعمال وحقايقها القبيحة وذلك عند الانغمار التام في الموت
وبعد الجهد يغشاه صفات الدنيا وكل ذلك ما كان اعقابه في الموت اشد فهو الكشف اقبل فيفيض

عند ذلك عليه الحزن الفضيحة واذا كان ضيف هذا الى القيامة الاية وسط بين منزله القبر وبين طارق القرار والذكر
قال الله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه اى يوم القيامة واما حسرة فوت الحبوبات يستولى فيتوطح
عليه آخر عند القرار في النار وفيها يقول افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وذكر ان بعد العهد عن
الدنيا انما يخفف عنه عذاب الذوح اليها وطول العهد بالكشف يوجب خروجا عن حزن الغاما الافضاح
فان سورة عذاب الحزن يكون عند هجوم الافضاح ثم يالف الفضيحة والحزن الغاما ثم عند فتور دوام
قليلا تثبت حسرة الفوت انظر جلالة الغايات ثم تبقى حسرة اخرى ويشبه ان يكون ذكر الاخر
له وهذه كلمة تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن تعمى عنك وتصم اذنك
وتقلع عضائلك فاما الم الحقيقة التى بها فلا يفنى بالموت اصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى معك جميع
معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك وانما تعذبك بفراق ما احببت وافتضاحك بظهور
ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله وهذا الم
مقدمات العذاب الحسى البدنى وذلك ايضا حق ولم ميعاد معلوم كما ورد الشرع به الاى والاخبار
فاقنع الآن بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب ولا بد وان تحرك سلسلة
الحمق والجاهلين ولكنهم اخس من ان يلتفت اليهم قال الله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم
يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فلنقتصر على هذا ولنختم به اصول الامور لنختم به
كتاب جواهر القران ومن طلب من يدله على هذا فليطلبه من كتاب ذكر الموت من كتب الاحياء
فالغرض الاظهر من هذا الكتاب التلويحات مع التشويق الى الاستقصاء المذكور في ذلك
الكتاب ففيه تنكشف اسرار علوم الدين ولا يفوز بطلبه الا مشغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم
الا ما يتخذ شبكة للحطام والة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب ولا يناسبها اصلا
والبقية خاتمة في مناظرة النفس اعلم انا قد بقينا هناك وشوقناك فاعرضت عن الاصغاء واصغيت

بظاهر قلبك كما تصغي الى الكلام الرسمي فقد خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ومن اظلم ممن ذكر
بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وان تدعهم الى الطهر فلن يهتدوا اذا ابدا واصغيت اصغاء ذي فطنة وبصر حديد وتذكرت من اين
وقد القي السمع وهو شهيد فاخر بصحيح ما يرد عن سلوك الصراط المستقيم وما يصد عنها عنه
الا حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى واليوم الآخر واجتهد ان تفرغ قلبك يوم كل يوم ساعة عقيب صلوة الصبح
وذكر عند الصفاء الذهن فتفكر في شانك في مبدئك ومعادك وتحاسب نفسك وتقول لها اني مسافر
تاجر وربح سعادة الابد لقاء الله تعالى وخسراني شقاوة الابد والحجاب عن الله تعالى ورأس مالي عمري وكل
نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهرة من جواهر لا تقدر بقيمة سعادة الابد واني كنت اعظم من هذا
واذا في الدنيا انقطعت التجارة وحصل اليأس وهذا اليوم يوم جديد قد امهلني الله تعالى فيه ولو توفي قلبي
لكنت اشتهي ان يرجعني الى الدنيا لاعمل صالحا فاحسبي بانفسي قد توفيت ورجعت الى الدنيا يوما
واجتهدي في هذا اليوم الواحد وانظري لنفسك فانه لم يمهلني لغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم
تتحسري وان امهلت فاستأنفي للخير ذكر ولا تخدعن نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكذب
ولا سبيل الى التحقق بانه قد عفي عنك اليس قد فاتك ثواب المحسنين وناهيك به حسرة
وندامة فاذا قالت نفسك ما هذا العمل وكيف اجتهد فتقول اتركها يفارقك بالموت والرمي
بذكر اللازم وهو الله تعالى واطلي الانس بذكره فاذا قالت فكيف اترك الدنيا فقد استحكمت علاقتها
في قلبي فتقول اقبلي على قطع علايقها من باطن القلب كما علمتك في الاصول العشرة من المهلكات
ففتشي عن اغلب علايقها من حب مال او جاه او حسد او عداوة او شهوة بطن او فرج
او غير ذلك من المهلكات فليس الآن يتفكر في عظم افاتها واهلاكها اياك فتنهضي لمجاهدتها
ومخالفة مقتضاها وقد تخلصت منها وايدك الله بتوفيقه ومعونته فقد ربحت انك مريضة المعي

مذلة الحيوة وقد انبأك طبيب تظن صدقه ان ملاذ الاطعمة تضرك وان الادوية البشعة تنفعك
الست تتصدين بقولي على مرارة الدواء طمعا في الشفاء الست تتصبرين على الكد التعب في الطريق
طمعا في الاستراحة في المنزل انت مسافرة ومنزلك الآخرة والمال فلا يستريح ويتحمل التعب والكد
فان استراح انقطع في الطريق وهلك وبقول بانفسها الذي تطلبين من الدنيا ان طلبت الدنيا المال فوجدته
وهيهات فتكونين في اليهود جامعة اغنى منك وان طلبت الجاه وثلثت وهيهات فتكونين اجلاف الاتراك
وحمقى الاكراد من يستولي عليك ويكون جاهه اعظم من جاهك فان كنت لا بد لك في آفة الدنيا وشدة
عذابها في الآخرة وبلاياها افلا تتركين عنها لختة شركائها اما تعلمين انك لو اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة
كنت في صيد الدهر فريد العصر لا يوجد في الاقاليم نظيرك وان طلبت الدنيا كان غاليها والحمقى من يستولي عليها
فافي الدنيا سبقك بها حمير فتفكري يا نفس وانظري لنفسك فلا ينظر لك احد غيرك وكذلك لا تزال تناظر
نفسك حتى تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى هذه المناظرة اهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة
الحنفية والشفعوية والمعتزلة وغيرهم فلم تعادهم وتجادلهم ولا يضرك خطاؤهم ولا خطاء
غيرهم ولا هم يقبلون منك ولا انت تقبل منهم الصواب وان صار اظهر من الشمس وتترك اعداء في كل
بين جنبيك لا تناظره بل تساعده على ما يطالبك به من شهواته الباطلة الباطنة
فتستبط بالكفر الدقيق الجلي لقضاء الشهوة هل هذا الا عين الاخماس والالتماس على قسمة
الرؤوس فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب اقبلت عليه لتهلكه فاخذ
المروحة ليدفع الذباب عن وجهه وهل تستحمق من يفعل ذلك فاعلم ان هذا حالك في اشتغالك
بمناظرة غيرك واعراضك عن محاسبة نفسك وفي هذا المعرض ينكشف لك روح عملك يوم تبلى
السرائر كما انبهتك على كيفية مكائد الآخرة باسرار الاعمال وارواحها وما لم تناظر نفسك مدة
طويلة لا تخليص لها من آفة ربك وذكره واقبال عليه ثم طريقك مع النفس اذا خالفتك ان تعاقبها

بما تزجرها وتعلم انها كالكلب لا يتادب الا بالضرب وان اردت ان تتعلم طريق مناظرتها ومراقبتها
ومحاسبتها ومعاقبتها فاطلبه من كتاب المحاسبة والمراقبة فان هذا
الكتاب لا يحتمله والله تعالى يوفقنا واياك بفضله وجوده
وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلوته على
رسوله محمد واله اجمعين والله اعلم بالصواب

ای برادر عاشق زاده باید رسد کن
صابری راصادقی هر امری باید کن

مرد